شرح

منظومة الأحسائي

على مقدمة

ابن أبي زيد القيرواني

تأليف

الشيخ العلامة المحدث

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

دار الكتاب والسنة

١٤٢٦هـ

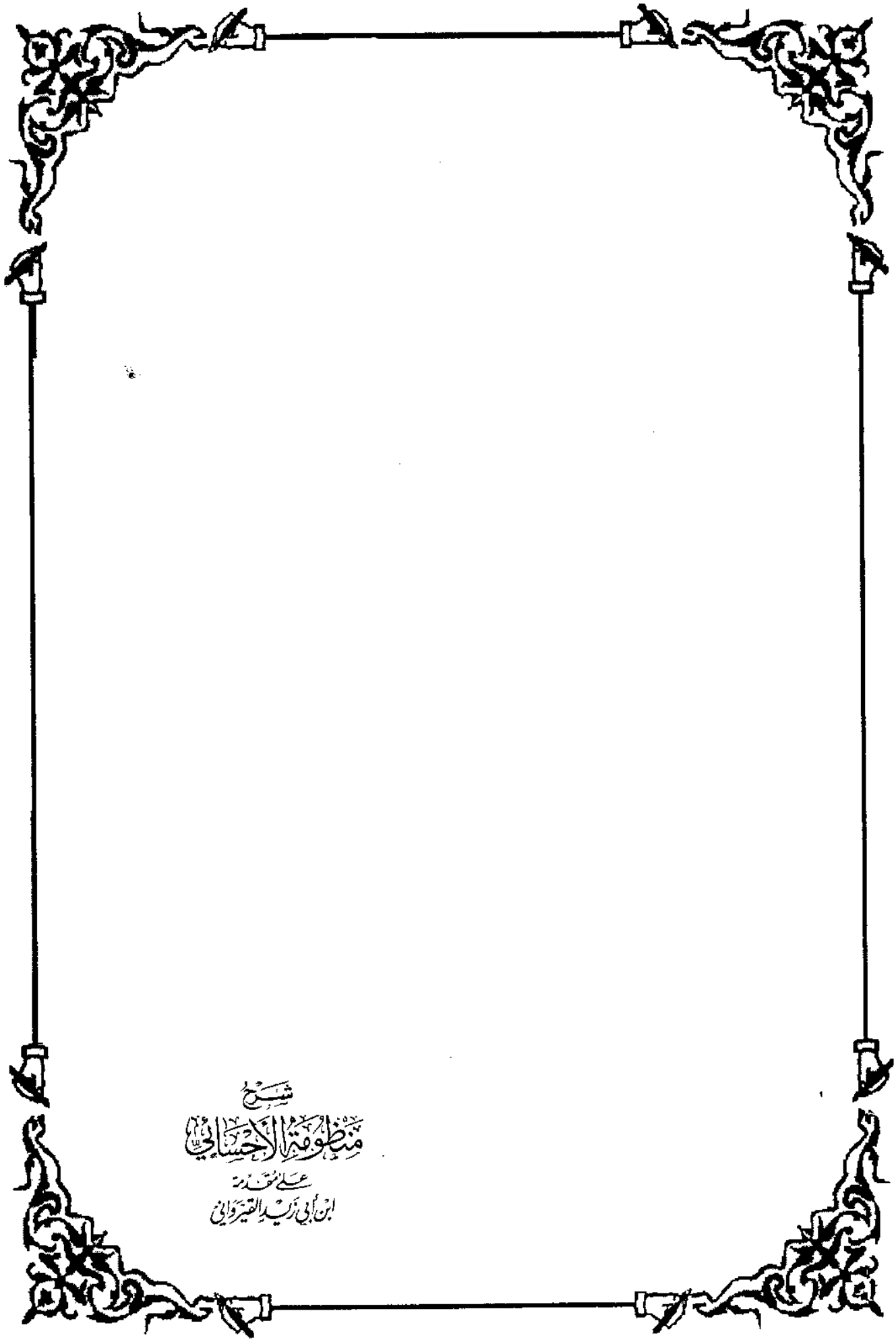

شرح منظومة الأحسابي

على مقدمة

ابن أبي زيد القيرواني

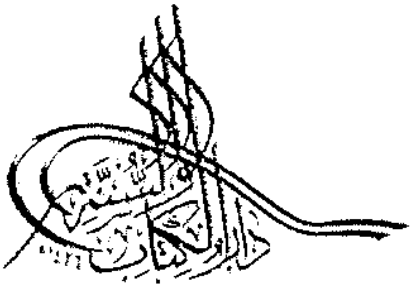

الطبعة الأولي ٢٠٠٧/٢/١٩

لـ دار الكتاب والسنة

رقم الايداع بهيئة الكتب والوثائق القومية

٢٠٠٧/١٥٠٧٠

جميع حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

ولايجوز طباعة أو تخزين المادة العلمية

دار الكتاب والسنة

للطباعة والنشر والتوزيع

٥ شارع احمد عبد الله – المتفرع من شارع عين شمس

عين شمس الشرقية – القاهرة جمهورية مصر العربية .

جوال :٠١٠٤٦٧١٤٣٩ – ٠١٠١٠٢١١٨٧

موقعنا علي الإنترنت

www.dar-ketabsunah.com

للتواصل عبر الماسنجر

Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alktabwalsunnah@yahoo.com

البـريد الإلكتـروني

marketing@dar-ketabsunah.com

إدارة التسويق

production@dar-ketabsunah.com

إدارة الإنتاج

Admin@dar-ketabsunah.com

شرح
منظومة الأحسائي
على مقدمة
ابن أبي زيد القيرواني

تأليف
الشيخ العلامة المحدث
أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

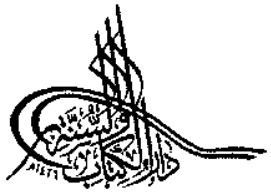

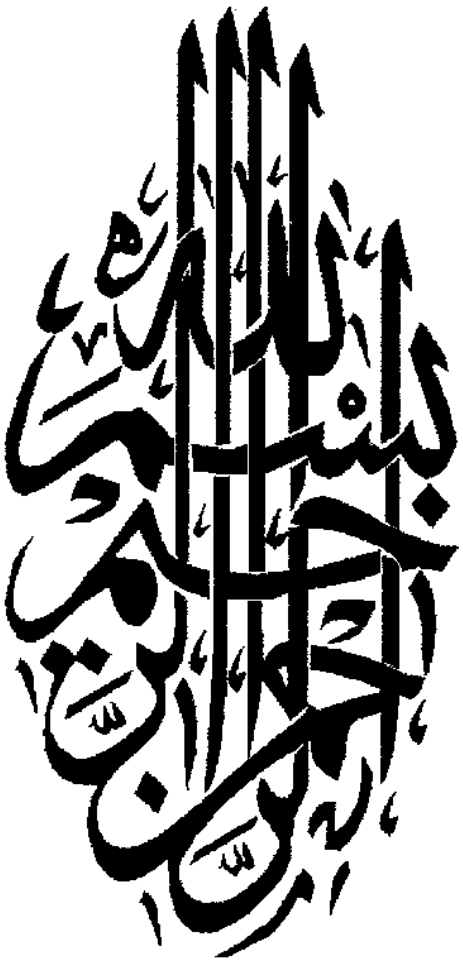

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن مما منّ الله علينا به في هذا المجتمع العلمي المبارك؛ الإقبال على طلب العلم النافع، فلا نعلم أحدًا جاء من بلده إلى هذا المكان (دار الحديث بدماج) - حرسها الله من كل سوء ومكروه- إلا لطلب العلم، ورب أخ فاضل يهتم بتحصيل العلم، وبتربية أبنائه وتعليمهم القرآن والسنة وعلومهما، فتجد بعض الأولاد لا تمر عليه سنون يسيرة إلا وقد حفظ القرآن وشيئًا كثيرًا من صحيح السنة، ومن متون العلم النافعة؛ في فنون مهمات العلوم بأنواعها، مع ما يتلقون من دروس.

وقد أعطى الله الأبناء رغبة في قراءة ما يحفظونه من المتون المختصرة أمام إخوانهم وآبائهم الأفاضل في درسنا -بين مغرب وعشاء- وكان ذلك من المحفزات لهم على حفظ مثل تلك المتون النافعة.

وربما صادف قراءة بعضهم لبعض المتون سعة عندي في الوقت، أو أرى الحاجة للتَّعليق على ذلك المتن، فأعلّق عليه بما فتح الله.

وكان مما يسر الله عزوجل لي التعليق عليه ببعض التعليقات المتواضعة، منظومة الإحسائي لمقدمة ابن أبي زيد القيرواني

والواسطية ولامية شيخ الإسلام ابن تيمية والعمدة في الفقه الحنبلي لابن قدامة والسفارينية ولامية ابن الوردي ونحو ذلك.

هذا وإني لأشكر لأخينا أبي الفتح الريمي -وفقه الله- إذ قام بتفريغ هذه المادة من الشريط.

وكذا أشكر للولد: حسين بن أحمد بن علي الحجوري؛ تصحيحه ومتابعته لطبع كثير من كتبي، فجزاه الله خيرًا، وبارك فيه.

ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى، وأن يدفع عنا وعن سائر بلاد المسلمين كل سوء ومكروه.

كتب هذه المقدمة في (١٧/ محرم ١٤٢٨هـ)

مقدمة الناظم وتشتمل على الحمد والثناء، والصلاة على النبي ﷺ، وفضل علم دين الله عزوجل

للشيخ أحمد بن مشرَّف الإحسائي المالكي المتوفى سنة (١٢٨٥هـ)

نقلاً من ديوانه (ص: ١٧) قال:

الحمدُ لله حمدًا ليس مُنْحَصرا ... على أياديه ما يخفى وما ظهرَا
ثم الصلاةُ وتسليمُ المهيمنِ ما ... هبَّ الصَّبَا فأدرَّ العارضَ المَطرَا
على الذي شاد بنيانَ الهُدى فسَما ... وساد كلَّ الوَرَى فخرًا وما افتخرَا
نبيِّنا أحمد الهادي وعِتْرَته ... إلا سَمَا وبأسباب العُلى ظفرَا
وبعدُ فالعلمُ لَم يظفر به أحدٌ ... وصحبِه كلِّ مَن آوى ومَن نصرَا
لا سيما أصل علم الدِّين إنَّ به ... سعادةَ العبد والمَنْجَى إذا حُشرَا

باب ما تعتقدُه القلوب وتنطق به الألسنُ من واجبات أمور الدين:

وأوَّلُ الفرض إيمانُ الفؤاد كذا ... نُطْقُ اللِّسانِ بما في الذِّكر قد سُطرَا
أنَّ الإلـهَ إلَهٌ واحـدٌ صَـمـد ... فلا إله سوى مَن للأنام برَا
ربُّ السموات والأرضين ليس لنا ... ربٌّ سواه تعالى مَن لنا فطَرَا
وأنَّه مُوجدُ الأشيـاء أجمعِها ... بلا شريك ولا عَوْن ولا وُزَرَا
وهو المُنَزَّه عن ولد وصاحبة ... ووالـد وعـن الأشبـاه والنُّظَـرَا
لا يبلغن كُنْهَ وصف الله واصفُه ... ولا يحيط به علمًا مَن افتكَرَا

وأنَّـه أوَّل بـاق فـلـيـس لـه ... بدءٌ ولا منتهى سبحان من قدرَا
حيٌّ عليـمٌ قديرٌ والكلام له ... فردٌ سميعٌ بصيرٌ ما أراد جَرَى
وأنَّ كرسيَّه والعرشَ قد وَسِعَا ... كلَّ السموات والأرضين إذ كبرَا
ولم يزل فوق ذاك العرش خالقُنا ... بذاته فاسأل الوحيين والفِطَرَا
إنَّ العلوَّ به الأخبارُ قد وَرَدَتْ ... عن الرَّسول فتابع مَن رَوى وقرَا
فالله حق على المُلك احتوى وعلى الـ ... ـعرش استوى وعن التكييف كُن حَذِرَا
والله بالعلم في كلِّ الأماكن لا ... يخفاه شيءٌ سميعٌ شاهدٌ ويَرَى
وأنَّ أوصافَه ليست بمُحدَثة ... كذاك أسماؤه الحُسنى لِمَن ذكرَا
وأن تنْزيلَه القرآنَ أجمعَه ... كلامُه غيرُ خلق أعجز البشَرَا
وَحْيٌ تكلَّم مولانا القديمُ به ... ولم يزل من صفات الله مُعْتبَرَا
يُتلَى ويُحمل حفظًا في الصدور كما ... بالخطِّ يُثبِتُه في الصُّحف مَن زَبَرَا
وأنَّ موسى كليمُ الله كلَّمه ... إلَهُه فوق ذاك الطور إذ حضرَا
فالله أسمعه مِن غير واسطة ... من وصفه كلمات تحتوي عِبَرَا
حتى إذا هام سُكرًا في محبَّته ... قال الكليم: إلَهي أسأل النَّظَرَا
إليك قال له الرحمن موعظة ... أنَّى ترانِي ونوري يُدهشُ البَصَرَا
فانظر إلى الطور إن يثبت مكانته ... إذا رأى بعضَ أنواري فسوف ترَى
حتى إذا ما تَجلَّى ذو الجلال له ... تصدَّع الطورُ من خَوف وما اصطبَرَا

فصل في الإيمان بالقضاء والقدر

وبالقضاء وبالأقدار أجمعها ... إيمانُنا واجبٌ شرعًا كما ذكرَا

فكلُّ شيء قضاه الله في أزَل ... طرًّا وفي لوحه المحفوظ قد سطرَا

وكلُّ ما كان من همٍّ ومن فرَح ... ومن ضلال ومن شكران مَن شَكَرَا

فإنَّه من قضاء الله قدَّره ... فلا تكن أنت مِمَّن ينكر القَدَرَا

والله خالقُ أفعال العباد وما ... يجري عليهم فعن أمر الإلَه جَرَا

ففي يديه مقادير الأمور وعن ... قضائه كلُّ شيء في الورى صَدَرَا

فمَن هَدى فبمحض الفضل وفَّقه ... ومن أضلَّ بعدل منه قد كفرَا

فليس في مُلكه شيءٌ يكون سوى ... ما شاءه الله نفعًا كان أو ضررَا

فصلٌ في فتنة القبر وعذابه

ولم تَمُت قطُّ من نفس وما قُتلت ... من قبل إكمالها الرِّزق الذي قُدرَا
وكلُّ روح رسولُ الموت يَقبضُها ... بإذن مولاه إذ تستكمل العُمرَا
وكلُّ من مات مسئولٌ ومفتتنٌ ... من حين يوضَعُ مقبورًا ليُختبَرَا
وأنَّ أرواحَ أصحاب السعادة في ... جنَّات عدن كطير يعلق الشَّجَرَا
لكنَّما الشُّهَدا أحيا وأنفسهم ... في جوف طير حسان تُعجب النَّظَرَا
وأنَّها في جنان الخلد سارحةٌ ... من كلِّ ما تشتهي تجني بها الثَّمَرَا
وأنَّ أرواح من يشقى معذَّبةٌ ... حتَّى تكون مع الجُثمان فِي سَقَرَا

فصل في البعث والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، ووزن الأعمال، والشفاعة والرؤية، والجنة والنار

وأنَّ نفخةَ إسرافيلَ ثانية ... في الصُّور حقٌّ فيحيى كلُّ مَن قُبرَا
كما بدا خلقهم ربِّي يُعيدهمُ ... سبحان من أنشأ الأرواحَ والصُّوَرَا
حتى إذا ما دعا للجمع صارخُه ... وكلُّ ميتٍ من الأموات قد نُشرَا
قال الإلَه: قِفوهم للسؤال لكي ... يقتصَّ مظلُومُهم مِمَّن له قَهَرَا
فيوقَفون ألوفًا من سنينهمُ ... والشمسُ دانيةٌ والرَّشْحُ قد كثُرَا
وجاء ربُّك والأملاكُ قاطبة ... لهم صفوفٌ أحاطت بالورى زُمَرَا
وجيء يومئذ بالنار تسحبُها ... خزانها فأهالت كلَّ مَن نظَرَا
لها زفيرٌ شديدٌ من تغيظها ... على العُصاة وترمي نحوهم شَرَرَا
ويرسل الله صُحفَ الخلق حاويةً ... أعمالَهم كلَّ شيء جلَّ أو صغُرَا
فمَن تلقَّته باليمنى صحيفتُه ... فهو السَّعيد الذي بالفوز قد ظفرَا
ومن يكن باليد اليسرى تناولُها ... دعا ثُبورًا وللنيران قد حشُرَا
ووزنُ أعمالهم حقٌّ فإن ثقلت ... بالخير فاز وإن خفَّت فقد خسرَا
وأنَّ بالمثل تُجزى السيِّئات كما ... يكون في الحسنات الضِّعف قد وفرَا
وكلُّ ذنب سوى الإشراكِ يغفرُه ... ربِّي لِمَن شا وليس الشركُ مُغتَفرَا
وجنَّة الخُلد لا تفنى وساكنُها ... مخلَّدٌ ليس يخشى الموتَ والكبرَا

أعدَّها اللهُ دارًا للخلود لِمَن ... يخشى الإلَهَ وللنَّعماء قد شَكَرَا
وينظرون إلى وجه الإلَه بها ... كما يرى الناسُ شمسَ الظهر والقمَرَا
كذلك النارُ لا تفنى وساكنُها ... أعدَّها الله مولانا لِمَن كَفَرَا
ولا يخلد فيها مَن يوَحِّدُه ... ولو بسفك دم المعصوم قد فَجَرَا
وكم يُنجي إلَهي بالشفاعة مِنْ ... خير البريَّة من عاص بِها سجرَا

فصل في الإيمان بالحوض

وأنَّ للمصطفى حوضًا مسافتُه ... ما بين صَنْعَا وبُصرَى هكذا ذكرَا
أحلَى من العسل الصافي وأنَّ كِيزَانَه ... مثلُ النجوم تُرَى
ولم يَرِدْه سوى أتباع سُنَّته ... سيماهم: أن يُرى التَّحجيل والغُرَرَا
وكم يُنحَّى ويُنفَى كلُّ مبتدع ... عن وِرْدِه ورجالٌ أحدثوا الغيَرَا
وأن جسرًا على النِّيران يَعبُرُه ... بسرعة مَن لمنهاجِ الهُدى عبَرَا
وأنَّ إيمَانَنا شرعًا حقيقتُه ... قصدٌ وقولٌ وفعلٌ للذي أمرَا
وأنَّ معصيةَ الرحْمن تُنقصُه ... كما يزيد بطاعات الذي شَكَرَا
وأنَّ طاعةَ أولي الأمر واجبةٌ ... من الهُداة نجوم العلم والأُمرَا
إلَّا إذا أمروا يومًا بمعصية ... من المعاصي فيُلغى أمرهم هَدَرَا
وأنَّ أفضلَ قرن للَّذين رأوا ... نبيَّنا وبهم دينُ الهُدى نُصرَا
أعنِي الصحابةَ رُهبانٌ بليلهمُ ... وفي النهار لدى الهَيْجَا لُيوث شَرَى
وخيرُهم مَن ولِي منهم خلافته ... والسَّبق في الفضل للصِّدِّيق معْ عُمَرَا
والتابعون بإحسان لهم وكذا ... أتباع أتباعهم مِمَّن قفى الأثَرَا
وواجبٌ ذِكرُ كلّ من صحابته ... بالخير والكفُّ عمَّا بينهم شَجَرَا
فلا تَخُض في حروب بينهم وقعت ... عن اجتهاد وكنْ إن خُضتَ معتذِرَا
والاقتداءُ بهم في الدِّين مفترَضٌ ... فاقتَد بهم واتَّبع الآثار والسُّوَرَا
وتركُ ما أحدثه المُحدِثون فكم ... ضلالة تبعت والدِّين قد هُجِرَا

إنَّ الهُدى ما هدى الهادي إليه وما ... به الكتاب كتاب الله قد أَمَرَا
فلا مراء وما في الدِّين من جدلِ ... وهل يُجادل إلَّا كلُّ مَن كفرَا
فهاك في مذهب الأسلاف قافيةً ... نظمًا بديعًا وجيزَ اللَّفظ مختصرَا
يحوي مهمّات باب في العقيدة من ... رسالة ابن أبي زيد الذي اشتَهَرَا
والحمد لله مولانا ونسأله ... غفران ما قلَّ من ذنب وما كثرَا
ثمَّ الصلاةُ على مَن عمَّ بعثته ... فأنذر الثَّقلَين الجنَّ والبَشَرَا
وديـنُه نَسَخ الأديانَ أجمَعَها ... وليس يُنْسَخُ ما دام الصَّفَا وحِرَا
محمد خير كلِّ العالَمين به ... ختم النبيِّين والرُّسل الكرام جَرَا
وليس من بعده يوحَى إلى أحد ... ومن أجاز فحَلَّ قتلُه هَدَرَا
والآلِ والصَّحبُ ما ناحت على فنَن ... وَرْقَا ومَا غرَّدت قُمْريّة سَحَرَا

قال:

الحمدُ لله حمدًا ليس مُنْحَصرًا على أياديه ما يخفى وما ظهرَا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فيشرع للمتكلم بالكلام الذي له شأن أن يبدأ بالحمد والثناء، لهذا قال الناظم:

الحمدُ لله حمدًا ليس مُنْحَصرًا على أياديه ما يخفى وما ظهرَا

الابتداء بالحمد، والدليل على أهمية البدء بالحمد والثناء في الكلام الذي له شأن قول النبي ﷺ: «**كل خطبة لا يبدأ فيها بالحمد والثناء فهي كاليد الجذما**»، وهذا حديث حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: ﴿على أياديه ما يخفى وما ظهرا﴾ هذا التعبير وددنا أنه جنح إلى غيره فإن المقصود بالأيادي هنا النعم والذين يرون أن اليد بمعنى النعمة يفسرون اليدين لله عز وجل بالنعمتين ولا يصلح ذلك، فالله يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، وليست لله نعمتان فحسب فنعم الله تترى وتتوالى، والنبي ﷺ يقول: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**»، وليس معناه أنه يبسط نعمته، فأي مزيَّةٍ لآدم على إبليس في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] على حد هذا القول؛ فإن جميع المخلوقات مخلوقون بقدرته وأوجدهم بفضله ونعمته، فهذا القول باطل لو أنه أبدله بلفظ يصلح كان أولى وأشار الناظم إلى أن نعم الله منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن، فنعم الله الظاهرة على عباده نعمة الليل والنهار والمطاعم والمشارب والمساكن

والأولاد والأهل، ونعمة الشم والطعم، ونعمة الصحة ونعمة اللباس، كل نعمة يراها الخلق فهي نعمة ظاهرة، ونعمة الباطن نعمة الإيمان، والإخلاص، نعمة تسويغ الطعام، ونعمة طمأنينة القلب، كل هذه من النعم العظيمة الداخلة تحت قول الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

* * *

قوله :

ثم الصلاةُ وتسليمُ المهيمنِ ما هبَّ الصَّبَا فأدرَّ العارضَ المَطرَا

بعد أن حمد الله صلى على رسول الله ﷺ امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٦]، فصلى عليه صلاة كثيرة بقدر ما يهب ريح الصبا وهو الريح من جهة المشرق، وقد قال النبي ﷺ : «. . **فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي**»، أخرجه أبو داود وغيره من حديث أوس بن أوس.

* * *

قال:

على الذي شاد بنيانَ الهُدى فسَما وساد كلَّ الوَرَى فخرًا وما افتخرَا

قوله (على الذي شاد بنيان الهدى): يعني رسول الله ﷺ ، شاد فخرًا وما افتخر، فهو الذي قال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر**»، فالافتخار والتباهي على الناس ليس من شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا من

شأن الصالحين، وإنما يفرح المؤمن بفضل الله ورحمته قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

* * *

قال:

نبيِّنا أحمد الهادي وعِتْرَته وصحبِه كلِّ مَن آوى ومَن نصرَا

اسم النبي ﷺ (أحمد) ثابت في القرآن وفي السنة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وفي حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ**» متفق عليه.

وجاء في حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أيضًا عند مسلم قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**».

قيل: سمى أحمد لكثرة حمده لله سبحانه وتعالى ومحمد لكثرة محامده وأوصافه الطيبة.

قوله الهادي، قال الله عزوجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، هداية دلالة وإرشاد وليست هداية توفيق؛ لأنه لا يملك هداية التوفيق إلا الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

أي لا توفق أحدًا بل الله يوفق من يشاء، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ

إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] أي تدل، وترشد وسائر الأنبياء يقومون بذلك الواجب خير قيام قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[الاحقاف: ٢١]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

والعترة هم آل بيته خاصة.

والأصحاب: جمع صاحب، والصحابي: هو كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك كل هؤلاء الثناء عليهم مطلوب يجب على كل مسلم أن يكون في غاية الحب لله ورسوله، ولآل بيته الصالحين ولأصحابه الأبرار.

وقوله: (ومن نصرا) هذا يشمل المهاجرين، ويشمل الأنصار كلهم نصروا، نصروا الله ورسوله ودينه الحق، وإن كان قد حصلت فضيلة للأنصار بالإيواء، قال سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، فقد اجتمع للمهاجرين الهجرة والنصرة، واجتمع للأنصار النصرة والإيواء وعلى الصحيح أن المهاجرين أفضل من الأنصار، فقد جعل الله من المهاجرين رسول الله ﷺ، واختار له ذلك، وكل الخلفاء الراشدين من المهاجرين.

* * *

قال:

وبعدُ فالعلمُ لَم يظفر به أحدٌ إلاسَمَاء وبأسباب العُلى ظفرَا
لا سيما أصل علم الدِّين إنَّ به سعادةَ العبد والمَنْجَى إذا حُشرَا

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

فالله سبحانه لم يشهد على وحدانيته غير أهل العلم، فكانت أعظم شهادة، وهي توحيد الله سبحانه وتعالى من أعظم شاهد وهو الله عز وجل وملائكته، وأهل العلم من أنبيائه ورسله، ومن سار في حمل هذا الدين مسارهم هذا ليس له نظير في العلى لا دنيا تساوي ذلك، ولا مناصب تساوي ذلك، لا في الدنيا ولا في الأخرى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وكم في القرآن والسنة من الثناء على أهل العلم، من ذلك حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «**إن الله وملائكته، وأهل السموات، والأرضيين حتى النملة في جحرها، وحتى الحيتان في الماء ليصلون على معلِّمي الناس الخير**» الحيتان وكل ما خلق الله في السماوات والأرض يستغفرون لك، هذا الفضل لا يعدله فضل؛ لأن حياة البشر الحقيقية تتوقف على دين الله، ومن لم يكن له دين، ولا نور، فهو يعيش حياة بهيمية على مستوى الأشخاص، أو البلدان، أو القبائل

رجالاً ونساءً، كل من لم يتحصل على العلم، ولم يعتنِ به، فإنه ينهار، اعتنِ بالعلم إن أردت أن يرفعك الله في الدنيا والآخرة، ولا تنظر إلى هذه الدنيا الزائلة، ولكن انظر إلى ما أعد الله عزوجل لأهل العلم يقال لقارئ القرآن يوم القيامة: اقرأ ورتل وارتقِ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، وانظر إلى ثبات أهل العلم أمام الفتن قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٧٦-٨٣]

وكذلك ثباتهم في الآخرة: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥-٥٦].

فأهل العلم أحياءٌ بعد موتهم، وأهل الجهل أموات، وهم على قيد الحياة.

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميتُ الأحياء
إنما الميتُ من يعيش كئيبًا كاسفٌ باله قليل الرجاء

وهذا من باب قول النبي ﷺ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ في مسلم: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَام، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**».

قال أهل العلم: إن الذي لا درهم له، ولا متاع هو مفلس لكن رسول الله ﷺ عنى ما هو أعظم من ذلك من الإفلاس من الحسنات، وكما قيل:

رُبَّ ميّتٍ قد صار بالعلم حيًّا ومبقى مات جهلًا وغيًّا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودًا لا تعدوا الحياة في الجهل شيئًا

ولا يزكو الإنسان إلا بتعلم دين الله عز وجل، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قيل له: «من أكرم الناس يا رسول الله، قال: «**أتقاهم**» قيل: ليس عن هذا نسألك، فقال: «**يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله**» قيل: ليس عن هذا نسألك، فقال: «**فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقُهُوا**».

وقوله: (إلا سما) أي ارتفع، (وبأسباب العلى ظفر) لكن يا أخي

العلم الذي ذكر في هذا الموضع الذي يسمو به صاحبه، هو الذي يعمل به صاحبه، وإلّا فو الله أنه يسقطه لحديث: «**إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا، ويضع به آخرين**»، وحديث: «**والقرآن حجة لك أو عليك**» «**كل الناس يغدو فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها**».

لا تظن أن كل صاحب علم يسمو، بعضهم علمه يجعله من أرذل الناس ومن شر الدواب، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

الجهل خيرٌ من هذا العلم، الجهل أسلم لك من أن تكون عالمًا، وعلمك حجة عليك يوم القيامة، ويتعجَّبُ منك عصاة الناس الذين كنت تنصحهم كما في الصحيحين من حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ، فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ وَاللهِ، لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ؛ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ؟، فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**».

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ**

أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

فلا خطيب ينتفع، ولا عالم مصنِّف مفتي ينتفع؛ إلا إذا صلحت عقيدته ونيَّتُهُ، وعمل بما يعلم، وإلا فانظر إلى أُناسٍ من بني إسرائيل لم يعملوا بعلمهم قال الله تعالى عنهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

ثم يا أخي، اعلم أن حمل العلم ثقل تلقيه، وتبليغه فيه ثقل وأتعاب، ابن دقيق العيد يقول:

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها ... أهل الفضائل مرذولون بينَهُمُ

قد صيَّرونا كأنَّا غَيرَ جِنْسِهُمُ ... منازل الوحش في الإيهام عندهُمُ

فليتَنَا لو قدرنا أن نُعرِّفهُم ... مقدارهم عندنا أو لو دروه هُمُ

لهم مريحان من جهل وفرط غنى ... وعندنا المتعبان العلم والعدم

لقمان الحكيم يقول لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

ومما أخذه رسول الله ﷺ على أصحابه أن يقولوا الحق، وإن كان مُرًّا كما ثبت من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَوْصَانِي حِبِّي بِخَمْسٍ: أَرْحَمُ الْمَسَاكِينَ وَأُجَالِسُهُمْ، وَأَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ تَحْتِي، وَلَا أَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَنْ أَقُولَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ**».

يبلغون دين الله، وأحدهم كان يبلغ، ويقول: إنما قلت ذلك تأثمًا خوفًا من الإثم، إن من يكتم العلم يصير العلم ضررًا عليه، قال

الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٨-١٥٩].

وكم من اللاعنين في الدنيا من الجن من الإنس من الرجال من النساء ممن لا نعلمهم كل اللاعنين يلعنون ذلك الذي يكتم دين الله، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٦٠].

هذا ما أردناه تنبيهًا على قوله: (إلَّا سما وبأسباب العلا ظفر)، فليس كل واحد يسمو من أهل العلم، وبأسباب العلا يظفر إلَّا من علم علمًا صحيحًا نافعًا وعمل به.

فيتعلَّم العقيدة الصحيحة توحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فإن هذا أصل الدين[1]، تعلم توحيد الله سبحانه وتعالى أول واجب على العبد ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: **«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ**

(١) هذا وشيخ الإسلام لا يقر تقسيم الدين إلى أصول وفروع، نعم مر بنا في بعض مصادر اقتضاء الصراط المستقيم ذكر ذلك لكن كأنه ذكره تنزلًا عند أقوالهم، وتقسيمهم وإلا فقد أنكر هذا.

خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ». وشاهدنا منه فأول ما تدعوهم إليه.

وهذا دليل على أن أول ما يجب على المكلف توحيد الله لا النظر، ولا الاستدلال كما يقول المعتزلة، وهو آخر ما يجب على الإنسان أن يلقى ربه به لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

وحديث: «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**».

وقال رسول الله ﷺ: «**يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**».

وربنا عزوجل يقول: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فمن صحت عقيدته؛ صلح حاله، ومن فسدت عقيدته؛ فسد حاله لما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله**»، وأعظم فسادٍ على هذه المضغة المعتقد الفاسد.

العناية بتوحيد الله عز وجل أمر مهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

الذي يموت على الإسلام، ولو كان على كبائر وتوحيده لله

صحيح؛ سليم من الشركيات، فإن مآله إلى الجنة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢]، والظلم في هذه الآية: المقصود به الشرك، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والذي يموت، وهو على الشرك الأكبر؛ فإنه من أهل النار كما دلت الأدلة على ذلك، وإن مات على الشرك الأصغر فهو أيضًا على خطر عظيم.

باب ما تعتقده القلوب، وتنطق به الألسن من واجبات أمور الدين

قال :

وأوَّلُ الفرض[1] إيمانُ الفؤاد كذا نُطْقُ اللِّسانِ بما في الذِّكر قد سُطرَا

الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وكله فرض، والدليل قول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»، وهذا الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: أن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد؛ فقوله: «**فأعلاها قول لا إله إلا الله**» هذا نطق، ولا يصح هذا النطق إلّا بالاعتقاد، «**وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» هذا عمل، «**والحياء شعبة من الإيمان**» هذا عمل قلبي.

ومن ذلك حديث: «**حب الأنصار من الإيمان، وبغض الأنصار من النفاق**»، ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» التغيير باليد، التغيير باللسان من أعمال الجوارح، وهو من الإيمان، وكذا قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] -أي صلاتكم- والتغيير بالقلب من الإيمان، فهو وإن لم يذكر العمل في هذا البيت لكن لابد من ذكره.

---

(١) في المطبوعة: (أول فرض).

وقال :

أنَّ الإلـهَ إلَهٌ واحـدٌ صَـمـد فلا إله سوى مَن للأنام برَا

يقرر الناظم ما ذكره ابن أبي زيد القِرواني في هذا البيت توحيد الله عز وجل أن الله إله واحد صمد، اعتمادًا على قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الاخلاص: ١-٤][1].

والله عز وجل يقول: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[محمد: ١٩].

والنبي ﷺ يقول: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة يومًا من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**» إن الإله إله واحد صمد لا يشرك به أحدًا لا في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] هذا فيه تقرير توحيد الله سبحانه وتعالى.

قوله (برا): أي أوجدهم البارئ الخالق أوجدهم من العدم، لا إله بحق إلا من للأنام برا، هناك آلهة باطلة كثيرة قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

---

(١) والصمد أصح ما جاء في تفاسيره أنه الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها كما ذكر شيخ الإسلام.

لم يشاركه ولم يظاهره ويعاونه في ذلك أحد.

قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

* * *

وقال:

ربُّ السموات والأرضين ليس لنا ربٌّ سواه تعالى مَن لنا فطَرَا

الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

* * *

وقال:

وأنَّه مُوجدُ الأشياء أجمعِها بلا شريك ولا عَوْن ولا وُزَرَا

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

فهو لا يحتاج إلى شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي[1]: «قال فيما يروي عن ربه عزوجل: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»... الحديث.

* * *

وقال:

وهو المُنَزَّه عن ولد وصاحبة ووالد وعن الأشباه والنُّظَرَا

قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الاخلاص: ١-٤].

وقول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] هذا رد على المشبهة وعلى المعطلة.

قال:

لا يبلغن كُنْهَ وصف الله واصفُه ولا يحيط به علمًا مَن افتكَرَا

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلَّا بما شاء، والله بكل شيء محيط، وما يتخيَّله العبد أو يتوقَّعه في ذهنه أنه على هذا الوصف، فالله خلاف ذلك إلَّا ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله

ﷺ قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الاسراء: ٣٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الذي يصف الله بغير دليل يكون مخطئًا ضالًّا ملحدًا في أسماء الله وصفاته، وهي توقيفية على الكتاب، وعلى صحيح السنة، وعلى ذلك إجماع منقول من جميع السلف ذكرناه فيالصبح الشارق، وفي الرد على ابن حفيظ.

* * *

قال :

وأنّه أوّل باق فليس له بدءٌ ولا منتهى سبحان من قدرا

يغني عن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وقد جاءت هذه الآية مفسرة في السنة: بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما، وذكره الإمام مسلم عن سهيل قال: كان أبوصالح يأمرنا فذكره...

* * *

وقال:

حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلام له فردٌ سميعٌ بصيرٌ ما أراد جَرَى

هذه سبع صفات ربما تبادر إلى ذهن من يسمع أنه لا يثبت إلَّا إياها على طريقة الأشاعرة، وليس كذلك، فإنه سيأتي من نظمه ما يدل على أنه يُثبِتُ صفات لا يُثبِتُها الأشاعرة، وهذه صفات ثابتة لله سبحانه وتعالى.

والدليل على اسم الله الحيّ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والدليل على اسم الله العليم والقدير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

والدليل على صفة الكلام قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وأما الفرد فلا أعلم عليه دليلًا يثبت إنه من أسماء الله عز وجل.

وأما السميع البصير: فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

وأما الإرادة: فالدليل قول الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

* * *

وقال:

وأنَّ كرسيَّه والعرشَ قد وَسِعَا كلَّ السموات والأرضين إذ كبرَا

قال الله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والكرسي صح عن ابن عباس موقوفًا عليه، وعلى ذلك جماهير أهل العلم أنه موضع قدمي الرحمن، والعرش لا يقدر قدره إلَّا الله عز وجل، ولا دليل على إثبات تعيينه من أي شيء هو؛ أهو من خشب، أو من حديد.. كل ذلك ما عليه دليل وهو أعظم المخلوقات؛ فإن النبي ﷺ قال: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»، فلو كان هناك خلق أعظم من العرش لذكره ﷺ، وهذا حين رأى بعض نساءه تسبح، وتذكر الله إلى أن طلعت الشمس، قال: «**لقد قلت كلماتٍ لو وزنت بما قُلتِهِ لوزنته**» الحديث.

* * *

وقال:

ولم يزل فوق ذاك العرش خالقُنا بذاته فاسأل الوحيين والفِطَرَا

قال الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف: ٥٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، فالله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه.

وعلمه مع خلقه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧].

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ١-٤].

وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وهذه الآيات ذكر قبلها العلم، وبعدها العلم، وعلى ذلك أهل السنة، وهذا من معتقدهم الصحيح أنه معهم بعلمه، وهو مستوٍ على عرشه.

وفي هذه المسألة زل أقوام كثيرون حتى إن هذا صار من المقررات في المدارس على أبناء المسلمين في البلاد اليمنية: إن الله في كل مكان، وهذا غلط من العقائد الفاسدة، فالله مستوٍ على عرشه، والقول بأن الله في كل مكان يلزم منه لوازم باطلة محرمة لا تليق بالله سبحانه وتعالى، ومؤدى ذلك: القول بالحلول، فهي نعرة حلولية إنما يعذر هؤلاء الناس بجهلهم أو بتأويلهم، وإلَّا فالقول أن الله في كل مكان هذه نفحة حلولية نسأل الله العافية.

وقال :

إنَّ العلوَّ به الأخبارُ قد وَرَدَتْ عن الرَّسول فتابع مَن رَوى وقرَا

العلو في القرآن، وفي السنة أحاديث المعراج كلها تدل على علوِّ الله على عرشه، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

أو قوله تعالى: ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ١-٥]، ومن الأدلة على علو الله سبحانه وتعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤].

الملائكة عبادٌ مكرمون لا يتنزلون إلا بأمره قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] كل هذه الأدلة تدل على المقصود.

والنبي ﷺ يقول: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟**»، وقول النبي ﷺ كما في الصحيحين: «**إن الله كتب كتابه، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي**».

وخطب النبي ﷺ يوم عرفه، ثم قال: «**اللهم هل بلغت**»، قالوا: نعم، فجعل يقول النبي ﷺ: «**اللهم فاشهد**» ويشير إلى السماء بأصبعه، ثم ينكتها يشير إليهم.

والمصلي يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، وأدلة كثيرة جمعها الإمام الذهبي رحمة الله عليه في كتاب العلو وجمعها ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية، والفطر السليمة تثبت ذلك،

وكفى بالكتاب والسنة أدلة على هذا المعنى عند من عقل، وبحمد الله أصحاب هذا القول صاروا محجوجين ما أحد يثبت أمام بيان مثل هذه الحجج إلَّا إذا كان عنادًا.

بعضهم قيل له: ما تقول في حديث الجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**»، قالت: أنت رسول الله، قال: «**فأعتقها فإنها مؤمنة**» أثبت لها الإيمان بهذه العقيدة الصحيحة، قال: تبنون عقيدتكم على قول راعية، وسب تلك المرأة! وسبَّها ما يجوز؛ لأنها صحابية، عقيدتنا ما هي مبنية على حديث الجارية فقط، بل مبنية على ذلك، وعلى مئات الأدلة كما ذكر ابن القيم، حتى الجاهلية كانوا يعترفون بذلك، وحتى فرعون ما كان إلا معاندًا لما قال: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، قال الله لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وذلك الجاهلي يقول لامرأته:

لتقعدن مقعد القصي مني ... يا ذا القاذورة المقليّ

أو تحلفي بربك العليّ ... أنا أبو ذياك الصبي

جاهلي، ومع ذلك يقول بربك العليّ، يثبت علو الله، فطرته أحسن من فطر الذين تلوثت فطرهم بعقيدة الحلول، وأن الله في كل مكان مختلط بخلقه، وفي هذه الأبيات نكتة أنها ردّت عليه فقالت:

لا والذي ردك يا صفيي ... ما مسني غيرك من أنسيّ

سواء غلام واحد جعفيي ... وخمسة كانوا على الطويّ

وغير مجوس ونصراوي

* * *

قال:

فالله حق على المُلك احتوى وعلى الـ ـعرش استوى وعن التكييف كُن حَذِرَا

فالله حق على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، هذا رد على من يقول: استوى بمعنى استولى على الملك، فهو يرد عليهم، ويقول: هو مستوٍ على عرشه، وهو مالك لسائر المخلوقات فهذا معناه.

ولا تكيِّف رب العالمين سبحانه وتعالى، ولا تمثّله بخلقه، الكيف ثابت لله سبحانه وتعالى لكنا نجهله قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

لله كيفية نحن نجهلها، ولما سئل مالك، قال: الكيف مجهول، الاستواء معلوم، زاد بعضهم: والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فلا ينبغي التكييف كيف استوى كيف كذا؟ كيف كذا؟ فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى هذا يُجتنب.

* * *

قال:

والله بالعلم في كلِّ الأماكن لا يخفاه شيءٌ سميعٌ شاهدٌ ويَرَى

يقرر أن الله في كل مكان بعلمه، وهو مستوٍ على عرشه لا يخفى عليه شيء قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ويقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

ويقول تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ويقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الانبياء: ٤٧].

ويقول: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩-١١].

ويقول: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

فعِلم الله، وإحاطة الله سبحانه وتعالى بخلقه في كل مكان، والله مستوٍ على عرشه، أما قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى﴾ [الزخرف: ٨٤]، فمعناه: مألوه معبود في السماء، ومعبود في الأرض، ويجب أن يصار إلى هذا القول؛ لأن الله ليس في الأرض، فهو بائن من خلقه مستوٍ على عرشه، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

ويذكرون تلك الأبيات المنسوبة إلى أبي العلاء المعرّي:

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في جسمها والمخ في تلك العظام النحل
امنن عليَّ بتوبة تمحو بها ما كان مني في الزمان الأولي

وقبل ذلك القرآن، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وقال :

وأن أوصافه ليست بمحدثةٍ كذلك أسماؤه الحسنى لمن ذكرا

نعم أسماء الله سبحانه وتعالى ما أحدثت له بعد أن لم تكن، فهو مسمى بهذه الأسماء ما علمناها، وما لم نعلمها، ومتصف بصفاته العُلى، قال الطحاوي: ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا.

* * *

قال:

وأن تنزيلَه القرآنَ أجمعَه كلامُه غيرُ خلق أعجز البشَرَا

القرآن كله كلام الله، تكلم به بحروف وبصوت، ليس منه آية واحدة لا يصدق عليها ذلك، فكله كلام الله، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وفي الأدلة الكثيرة إثبات صفة القول لله سبحانه وتعالى، «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه**» وصفة الكلام لله: «**ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**».

والطحاوي يقول: والقرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على نبيه وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، ويقول أيضًا: فمن زعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وأعابه، وأوعده بسقر.

فالقول بأن القرآن مخلوق كفر؛ لأن هذا من لازمه أنه ليس بحجة، وكلام الله حجَّةٌ على خلقه؛ فصفات الله ما هي مخلوقة، والقرآن صفة الله سبحانه، الصوت: صوت القاري، والكلام كلام الباري.

وسائر كتبه المنزلة: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وموسى، وغيرها من الكتب المنزلة على رسله، بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]. كلها من كلام الله عز وجل، وكلها منزلة منه، لا فرق في ذلك بينها وبين القرآن الكريم، وليس كلام الباري سبحانه محصورًا في هذه الكتب، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

ومن الأدلة على قوله: (أعجز البشر) تحداهم الله أن يأتوا بمثله

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وهم عاجزون أن يأتوا بعشر سور مثله قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

وقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

عاجزون أن يأتوا بسورة واحدة مثله، ولو من قصار السور قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

يعجزون عن الإتيان بمثل ذلك مع بلاغتهم، ومع تعاضدهم، وتعاونهم على الإتيان به، فالله يتحداهم أن يأتوا بمثل ذلك، ولما عجزوا عن الإتيان بمثله عمدوا إلى تكذيبه، قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

وقال: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

ومسيلمة الكذاب فضح نفسه لما أراد أن يأتي بمثل بعض الآيات صار كلامه أضحوكة للناس، فقد جاء أنه قيل له: إن محمدًا أنزل عليه قرآن، قال: وأنا أُنزل عليَّ قرآن مثله قالوا: وما هو؟ قال أنزل عليَّ: (ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين)، ومن هذه المهزلة التي ذكرها ابن كثير وأبان ما فيها من الركة، والضعف، الشاهد من هذا أن كلام الله عزوجل معجز في معانيه، ومعجز في ألفاظه، وبلاغته، ومعجز في تأثيره، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢].

ليس هناك أبلغ من كلام الله قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

القرآن لو أُنزل على جبل لتصدع لما فيه من التأثير العظيم، قال الله عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال الله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وجبير بن مطعم حين سمع النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور حتى بلغ قول الله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] قال: إن قلبي كاد يطير من بين جنبي، والحديث متفق عليه.

* * *

قال:

وَحْيٌ تكلَّم مولانا القديمُ به ولم يزل من صفات الله مُعْتبَرَا

القرآن صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، فلو حلف إنسان بالقرآن ما حلف بغير صفات الله يجوز الحلف بالقرآن، لكن لا يجوز الحلف بالمصحف، ولا ما يسمى بالختمة؛ لأنه يشمل حِبرًا وورقًا. أما القرآن فكلام الله.

ولفظة القديم: الأَولى أن يستعاض عنها بالأول ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

أما القديم فهو الذي مسبوق بشيء قبله، وقد انتقدها ابن أبي العز عند قول الطحاوي: (قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد)، وانتقدها قبله شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم رحمهم الله.

* * *

وقال :

يُتلَى ويُحمل حفظًا في الصدور كما بالخطِّ يُثبِتُه في الصُّحف مَن زَبَرَا

وأنَّ موسى كليمُ الله كلَّمه إلَهُه فوق ذاك الطور إذ حضرَا

الدليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كليم الله قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

وأراد بعض الضُلال أن يحرف هذه الآية، فجاء إلى أبي عمرو بن العلاء، وقال: أريد أن تقرأ لي: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ أي أن موسى هو المكلِّم، ولا يثبت الكلام لله سبحانه وتعالى قال: هب أني قرأت لك هذه الآية كما تريد، فماذا تقول في قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فبهت ذلك المعتزلي.

وكون موسى عليه الصلاة والسلام كليم الله، فرسول الله ﷺ رفعه الله إليه إلى حيث شاء الله من العلا، وأوحى إليه ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى، استدلوا بذلك أن النبي أيضًا الله كلمه، ولكن من وراء حجاب، وموسى كذلك كلمه ربه: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

فنعم كلمه من وراء حجاب، وكلم النبي ﷺ من وراء حجاب، وفي حديث أبي موسى في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره**»، فلم ير موسى ولا محمد -صلى الله عليهما وسلم- لم ير أحد منهما ربه بعينيه قبل الموت؛ لحديث أحد أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**».

ولقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولقول الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، وهذا في سياق ذكر ما جرى لرسوله محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وليس في هذا أن موسى عليه الصلاة والسلام له فضيلة زاد بها على النبي ﷺ، ولكن النبي ﷺ قال فيما ثبت: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَفِيقُ فَأَجِدُ مُوسَى مُتَعَلِّقًا بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَجُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ، أَوْ أَفَاقَ قَبْلِي**» هذه الميزة التي يفضل بها موسى على رسول الله محمد ﷺ.

والفضل المطلق في ذلك لرسول الله محمد ﷺ على سائر النبيين لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، فقدمه عليهم.

ولقول الله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

ولقول النبي ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر**».

ولقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الاسراء: ٧٩]، ولحديث أبي هريرة المتفق عليه في شفاعة النبي في أهل المحشر.

* * *

وقال:

فالله أسمعه مِن غير واسطة من وصفه كلمات تحتوي عِبَرَا

فيه إثبات أن الكتب المنزلة صفات لله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وأسماء الله وصفات الله سبحانه وتعالى غير محصورة بعدد معلوم لنا لحديث: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي**» الحديث، «لا أحصي ثناءًا عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وفي الحديث الآخر: قال: «**فيفتح عليَّ من محامده ما لم يفتحه عليَّ من قبل**»، وحسن الثناء عليه الثناء على الله بوصفه الجميل.

* * *

وقال:

حتى إذا هام سُكرًا في محبَّته قال الكليم إلَهي أسأل النَّظَرَا

إليك قال له الرحمن موعظة أنَّى ترانِي ونوري يُدهشُ البَصَرَا

يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أما رواية (نورًا أنَّى أراه)، فإنها شاذة، وقد استنكرها بعض العلماء، فقال: هذا فيه نفي رؤية الله سبحانه وتعالى مطلقًا، والصواب رأيتُ نورًا، شذ بلفظة (نورًا أنَّى أراه) يزيد بن إبراهيم التستري، وليس في الآية، ولا في حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ما يدل على صحة هذا التعبير، أن يقال: إن موسى عليه السلام هام سكرًا في محبة ربه عز وجل، فهو تعبير انتشر في أوساط الصوفية الضُّلَّال هداهم الله.

وقال:

حتى إذا ما تَجلَّى ذو الجلال له تصدَّع الطورُ من خَوف وما اصطبَرَا

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. أيضًا المذكور في الآية أن الجبل اندك، وليس فيها أنه تصدع، وبين التصدع والدك فرق لغوي، فكان ينبغي على الناظم أن يتحرى في نظمه ما دل عليه القرآن.

فصل
وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

قال:

وبالقضاء وبالأقدار أجمعها إيمانُنا واجبٌ شرعًا كما ذكرَا

السفاريني يقول:

وليس واجبًا على العبد الرضى بكل مقضي ولكن بالقضاء

يذكرون الفرق بين القضاء والقدر، والفرق بين القضاء والمقضي، يجب الإيمان بقضاء الله وقدره قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام، وجفت الصحف**».

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: حدثنا الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتٍ بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله إلا غيرة إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون**

بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».

وتوالت الردود على القدرية النفاة، وعلى القدرية المجبرة الذين بالغوا في الإثبات حتى صاروا جبرية يعتقدون أن الإنسان مجبور على فعل الخير والشر.

ومن أحسن الردود عليهم: شفاء العليل لابن القيم رحمة الله عليه، وكتاب القدر لشيخنا من حيث جمع أدلة الموضوع وتحري الصحيح من الأحاديث والآثار، وكتاب القدر الذي انتهينا منه في صحيح مسلم، وإلَّا ففي الباب عدة كتب أنفسها ما ذكرناه كل ذلك منهم ردًّا على أئمة الزيغ.

فشأن أهل السنة رحمهم الله أنها إن نبغت بدعة، أو ثارت ثائرة، أو قامت شبهة تصدوا لها كتابةً، وخطابةً، ودعوة وما إلى ذلك حتى تزول أو تقف عند حدها.

* * *

وقال:

فكلُّ شيء قضاه الله في أزَل طرًّا وفي لوحه المحفوظ قد سطرَا

وكلُّ ما كان من همٍّ ومن فرَح ومن ضلال ومن شكران مَن شَكَرَا

في هذه الفقرات تقرير أن الله سبحانه وتعالى قدر كل شيء حتى العجز والكيس كما ثبت عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ**» أخرجه مسلم في صحيحه.

فما كان من هم أو حزن أو فرح أو مرض أو عافية أو فقر أو غنى

كل ذلك وغير ذلك مما يحصل في الكون معلوم لله سبحانه وتعالى يعلمه الله وكله بقدر الله.

والواجب على المؤمن هو ما ذكر في حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن**» أخرجه مسلم.

فالمؤمن مستفيد على كل حال عند السراء مستفيد الشكر، وعند الضراء مستفيد الصبر، ومأجورٌ على الحالين.

* * *

وقال:

فإنَّه من قضاء الله قدَّره فلا تكن أنت مِمَّن ينكر القَدَرَا

نعم الذين ينكرون القدر مبتدعة، وأنت لا تكن مبتدعًا بل الذين ينكرون علم الله كفار، وهذا المذهب كان قديمًا، ثم انقرض كما ذكر النووي عند حديث عمر المشهور بحديث جبريل، من شرح صحيح مسلم وتبعه على ذلك شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى أن مذهب القدرية الذين ينكرون علم الله كان موجودًا في أول الأمر، ثم انقرض، ولا يمنع أن توجد له آثار هؤلاء كفار، فالله عليم حكيم لا تخفى عليه خافية، والدليل على كفرهم قول ابن عمر رضي الله عنه لما بلغه عن هؤلاء القدرية أنهم يتقفرون العلم، ويقولون: الأمر أُنف، أي: مستأنف، ما يعلم الله الأمور إلَّا بعد حدوثها، قال: أخبروهم أني منهم بَراء، وأنهم مني برءاء، والله لو أنفق أحدهم مثل أحدٍ ذهبًا ما تقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره.

والذي لا يتقبل الله منه هو الكافر قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [ابراهيم: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وهكذا درج على ذلك عمر بن عبد العزيز، وعدد من أهل العلم يُكفرون من رد علم الله، فهذه نصيحة من الماتن والناظم، نصيحة: (لا تكن أنت ممن ينكر القدرا)، أي: ممن ينكر علم الله، القدر الكوني علم الله، ولا تكن أنت ممن ينكر تقدير الشر لا هذا ولا هذا احذر أن تكون كافرًا بالله، واحذر أن تكون مبتدعًا في هذا الجانب.

* * *

وقال:

والله خالقُ أفعال العباد وما يجري عليهم فعن أمر الإلَه جَرَا

نعم، اقرأ في ذلك خلق أفعال العباد للإمام البخاري رد به على الذين يقولون الإنسان مجبور، وفيه رد على الذين كانوا ينكرون القدر أيضًا على الفئتين على الجبرية، والنفاة، فقد وفَّى في هذا الشأن خلق أفعال العباد، ومن أدلة الباب قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فعملك الذي عملته خلقه الله، وحديث: «**إن الله خالق كل صانعٍ وصنعته**»، هذا من الأدلة على أن الله خالق أفعال

العباد من خيرٍ وشرٍّ، ومن اعتقد أن ذلك الفعل من العبد الذي هو الشر غير مخلوق لله ما خلقه الله؛ هذا أثبت خالقين، الله يخلق الخير والإنسان يخلق الشر، وذلك الفاعل للشر يخلق فعل نفسه، هذا مشرك أشرك مع الله غيره، القدرية: نفاة القدر مشركون أشركوا مع الله غيره، وهم المعنيون بحديث: «**القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشيعوهم**»؛ لأن المجوس الثانوية اعتقدوا إلهين اثنين: الظلمة تخلق الشر، والنور يخلق الخير، فالقدرية شابهوهم في اعتقاد إلهين اثنين.

* * *

قال:

ففي يديه مقادير الأمور وعن ... قضائه كلُّ شيء في الورى صَدَرَا

فمَن هَدى فبمحض الفضل وفَّقه ... ومن أضلَّ بعدل منه قد كفرَا

حاصل هذا القول أن الهداية من الله عز وجل، هداية توفيق لا تكون إلا لله، وهداية إرشاد تكون للأنبياء، والصالحين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] أي ترشده.

وقال عز وجل ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧].

فمن هداه الله فبفضله، ومن خذله الله، فبعدله، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الانبياء: ٢٣].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩-١١].

* * *

قال:

فليس في مُلكه شيءٌ يكون سوى ما شاءه الله نفعًا كان أو ضررَا

وهذا تأكيد لما مضى من الرد على القدرية الذين يقولون: إن الشر لا يخلقه الله، وإنما كان من العبد خلقه العبد اخترعه العبد، ليس في ملك الله يكون شيء لا يريده الله، ومعناه: أن الله غلب على أمره على حد القدرية، وكان في ملكه ما لم يرده حتى دخل بعض الناس، وقال: يأيها الناس إن الله لم يرد أن تضل راحلتي، فضلت راحلتي، فادع الله أن يردها، قال: إننا نخشى إلا لم يرد أن تضل، فضلت ندعوا أن ترد فلا ترد، ففيه اتهام لله سبحانه وتعالى بالنقص والعجز وأنه يكون ما لا يريده يخترعه البشر.

مالا يريده الله، وهذا في الحقيقة تجني على الشريعة الإسلامية، وأيضًا عدم أدب مع رب العالمين سبحانه وتعالى.

* * *

قال:

ولم تَمُت قطُّ من نفس وما قُتلت من قبل إكمالها الرِّزق الذي قُدرَا

وكلُّ روح رسولُ الموت يَقبضُها بإذن مولاه إذ تستكمل العُمرَا

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

فلا تمت نفس إلا بإذن الله، وباستيفاء أجلها، وأيضًا باستيفاء رزقها، قال النبي ﷺ: «**إن روح القدس قد نفث في روعي أنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**».

والله يقول: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣].

ويقول الله سبحانه وتعالى مبينًا ثبوت الرزق لكل المخلوقات يقول الله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

هذه الأدلة تدل على ما ذكر الناظم تابعًا لصاحب المتن أنها لن تموت نفس حتى تأخذ رزقها، وتستوفيه، وتأخذ أجلها، وتستوفيه ورد على الذين يقولون بخرم الأجل، وهم المعتزلة، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وثبت عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**» قَالَ: وَذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرَدَةُ قَالَ مِسْعَرٌ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا**»، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ.

وشاهدنا أرزاقًا مقسومة، وآجالاً مضروبة، وثبت من حديث أبي عزة يسار بن عبد أن النبي ﷺ قال: «**إذا أراد الله قبض روح عبد في أرض جعل له إليها حاجة**» والقائلون بخرم الآجل محجوجون بهذه الأدلة من القرآن، ومن السنة.

ومن الأدلة على ذلك قول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

ولا تعارض بين الثلاث الآيات، فالمتوفي حقيقة هو الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، والمباشر لقبض الروح هو ملك الموت يقبضها، وهناك ملائكة يقبضونها منه، فيضعونها إما في ذلك الحنوط الطيب، وإما أن تكون خبيثة، فيضعونها في ما أمروا أن يضعوها فيه.

وقوله: (إذا استكمل العمرا) أي أنه لا يفرط، وما شاع عند بعض العامة أنه قد يغلط، أو قد يموت أحد قبل حصول أجله، هذا باطل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ولا تموت نفس إلا لانتهاء أجلها، وهذا من الردود على الذين يقولون بخرم الأجل.

* * *

قال:

وكلُّ من مات مسئولٌ ومفتتنٌ من حين يوضَعُ مقبورًا ليُختبَرَا

كل من مات مسئولٌ ومفتتنٌ لكن يُستثنى من ذلك من جاءت به

الأدلة مثل:

١- الأنبياء لقول النبيﷺ: «**فبي تفتنون، وعني تُسألون**».

٢- والشهداء قال النبي ﷺ: «**كفى ببارقة السيوف على رؤوسهم فتنة**».

٣- والمرابط في سبيل الله، الحديث: «**كل امرئ يختم على عمله إلَّا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله الذي كان يعمل، ويؤمن الفتان**».

ففي هذه الأدلة أنه يُستثنى النبيون، والشهداء، وأفضل منهم:

٤- الصديقون من باب أولى لقول الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩] فقدم الصديقين على الشهداء؛ لأنهم أرفع درجة من الشهداء.

وقد أمر رسول الله، وحث على الاستعاذة من عذاب القبر، وفتنة القبر، ففتنة القبر حاصلة لكل ميت من برَ، وفاجر يُسئلُ تلك الأسئلة الواردة في حديث البراء بن عازب: «**من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ المؤمن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، ويُجيب ولو كان عامِّيًا، والفاجر يقول: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلتُه**»، ولو كان عالمًا ما يستطيع أن يُجيب بتلك الأجوبة هذه هي الفتنة الاختبار.

أما العذاب، فإنه للمستحق لذلك، فليس كل ميت يُعذَّبُ في قبره يُعذَّب الكفار، ومن يستحق العذاب من المسلمين، وممن يُعذَّبُ من المسلمين في قبورهم الذي لا يستتر من بوله، والذي يمشي بين الناس بالنميمة كما في حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال حين مر بقبرين قال: «**إنهما ليُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»، ثم أخذ

جريدتين، فشقهما، ووضع على كل قبر من تلك الجريدتين، قال: «**لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا**» متفق عليه.

وهذه خصيصة من خصائص رسول الله ﷺ، فليس كل إنسان يوضع على قبره جريدٌ؛ لأننا لا نعلم أنه يُعذَّب، أو لا يُعذَّب، ولا عندنا دليل أن ذلك يشفع فيه، إنما هذه من خصائص رسول الله ﷺ، ووضع الجريد، وغير ذلك من الأشجار على قبور الموتى من المحدثات، والكفار يعملون زهورًا على القبور، وهذا تقليد للكفار.

ومن أسباب الأمن من عذاب القبر الموت بسبب أي داء من أدواء البطن، لحديث خالد بن عرفطة، وسليمان بن صرد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من يقتله بطنه؛ لم يعذب في قبره**»، وهو حديث صحيح، ذكرته في الرياض المستطابة في صحيح مفاريد الصحابة؛ لأن خالد ابن عرفطة لا نعلم له في تحفة الأشراف إلا هذا الحديث.

وقوله: (من حين يوضع مقبورًا)، هذا ما دل عليه الدليل من حديث البراء، ومن لم يقبر كمن غرق في البحر أو أكلته السباع، أو احترق حتى صار فحمًا كل هؤلاء وسائر من لم يقبروا نؤمن أنهم ستنالهم فتنة القبر، ومن كان أهلاً لعذاب القبر أيضًا يناله عذابه ولو لم يُقبر؛ لعموم الأدلة في فتنة القبر، وسواء دفن، أو لم يُدفن أكلته السباع، أو تخطفته الطير، أو غرق في البحر، وذهب في بطون الأسماك، أو احترق بالنيران حتى صار رمادًا، فإننا نؤمن أنه سيصله ذلك فتنة القبر، وعذاب القبر لمن كان له مستحقًّا، وهذه من عقيدة أهل السنة والجماعة.

سؤال: هل الشهيد يُعذَّب بالدَّين ؟

الجواب: نعم؛ لحديث أَبِي قَتَادَةَ في مسلم: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ

الْأَعْمَالِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ لِي ذَلِكَ**».

* * *

قال:

وأنَّ أرواحَ أصحاب السعادة في جنَّات عدن كطير يعلق الشَّجَرَا

نعم إن أرواح المؤمنين في الجنة، وعلى ذلك حديث أُبيّ بن كعب أن النبي ﷺ قال: «**أرواح المؤمنين في الجنة**» ليس خاصًّا بأرواح الأنبياء، والشهداء بل سائر المؤمنين أرواحهم في الجنة سواءً كانوا صغارًا أو كبارًا، رجالاً أو نساءً جنًّا أو إنسًا؛ لعموم هذا الحديث الصحيح.

وأرواح الكفار في النار بعموم قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

وهناك أقوال على هذه المسألة منها أن أرواح الكفار في بئر برهوت، كل هذه الأقوال، وفِّر على نفسك بإلغائها، وعدم المبالاة بكثير من الخلاف في مثل ذلك، وأن هذا القول هو الصواب أن أرواح المؤمنين في الجنة، وأن أرواح الكافرين في النار.

* * *

قال :

لكنَّما الشُّهَدا أحيا وأنفسهم في جوف طير حسان تُعجب النَّظَرَا

يمتاز أرواح الشهداء بأن أرواحهم في أجواف طير خضر تغدوا في الجنة قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

وهذا في حق شهيد المعركة، وهناك شهداء آخرون لهم فضيلة الشهادة لكن شهداء المعركة لهم فضائل تربوا، وتزيد على فضائل من عداهم من الشهداء، أو من في حكم الشهداء لقول النبي ﷺ : «**من سئل الله الشهادة بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**» أخرجه مسلم.

والشهداء كثير: المطعون، والمبطون، والغريق، ومن مات في الهدم ومن قتل دون دينه، ومن قتل دون دمه، ومن قتل دون ماله، وهناك مبحثٌ في مجلد يتعلق بالشهداء، وأحكام الشهداء أتى فيه صاحبه بفوائد من هذا الباب لا بأس بها.

والمقصود بأصحاب السعادة هم أهل الجنة، قال الله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨] أي غير منقطع.

قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه زاد

المسير وغيره من علماء التفسير، ونقل كثيرًا منها الإمام أبو جعفر بن جرير في كتابه، واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان، والضحاك، وقتادة، وابن سنان، ورواه بن أبي حاتم عن بن عباس، والحسن أيضًا أن الإستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين حتى يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من لم يعمل خيرا قط وقال يوما من الدهر لا إله إلا الله، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ: بمضمون ذلك من حديث أنس، وجابر، وأبي سعيد، وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها، ولا محيد له عنها، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديمًا وحديثًا.

وقال : يقول تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ وهم أتباع الرسل ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: فمأواهم الجنة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: أي ماكثين فيها أبدا ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ معنى الاستثناء ها هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمرا واجبا بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم دائمًا، ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس، وقال الضحاك، والحسن البصري: هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها، وعقب ذلك بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع، قاله مجاهد، وابن عباس، وأبوالعالية، وغير واحد؛ لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاع، أو لبس أو شيء بل حتم له بالدوام وعدم الانقطاع كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائما مردود إلى مشيئته وأنه بعدله وحكمته عذبهم، ولهذا قال ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا

يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] كما قال: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]. وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وقد جاء في الصحيحين «**يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**»، وفي الصحيح أيضا فيقال: «**يا أهل الجنة إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا**».

لكنَّما الشُّهَدا أحيا وأنفسهم في جوف طير حسان تُعجب النَّظَرَا

الأنبياء والشهداء لا تأكل أجسادهم الأرض؛ جابر بن عبد الله رضي الله عنه أبوه استشهد يوم أحد، ثم دفنه مع رجل آخر، وحصل أن حفر حرس معاوية لشيء ما فخرجت رجله، فنقله بعد ستة أشهر لم تأكل الأرض منه شيئًا إلا شيئًا من آذانه هذا من الأدلة أن الشهداء لا تأكلهم الأرض، والأنبياء لحديث: كيف نُصلِّي عليك يا رسول الله، وقد أرمت؟ أي بليت قال: «**إن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء**».

وأما ما جاء أن حافظ القرآن لا تأكله الأرض، ففي هذا نظر، فمن حفاظ القرآن من يكون القرآن حجة عليه لا له، منهم من هو فاسق وهو حافظ للقرآن، بل وجد من الزنادقة من يحفظ القرآن نسأل الله العافية، قال النبي ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك**». أخرجه مسلم وغيره من حديث الأشعري رضي الله عنه.

* * *

وقال :

وأنَّها في جِنَانِ الخلد سارحةٌ من كلِّ ما تشتهي تجنِي بها الثَّمَرَا

وأنَّ أرواح من يشقى معذَّبةٌ حتَّى تكون مع الجُثمان فِي سَقَرَا

في هذا إشارة إلى أدلة منها: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في أن المؤمن يُقال له: «**نم نومة العروس، وأن الكافر يقول: رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة**» فقد جاءت أدلة أن أناسًا يدخلون الجنة قبل يوم القيامة، مثل قول النبي ﷺ في ولده إبراهيم: «**إن له مرضعة في الجنة**».

هذا محمول على أنه بين الروح والجسد تعلق كما هو قول ابن القيم، وغيره، وأن هذا شأن الروح، أما الجثمان ففي الأرض لقوله عزوجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

دل هذا أن الروح هي التي تنعم، مثل: ورقة بن نوفل روحه في الجنة، وعمرو بن لحي قال رسول الله ﷺ: أنه رآه يجر قصبه في النار، أيضًا روحه تُعذَّب، ودخول الجنة والنار بالروح والجسد لا يكون إلَّا بعد يوم القيامة حين أن يستفتح النبي ﷺ باب الجنة، فيُفتح له.

فصل في البعث والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، ووزن الأعمال، والشفاعة والرؤية، والجنة والنار

قال :

وأنَّ نفخةَ إسرافيلَ ثانيةٍ في الصُّور حقٌّ فيحيى كلُّ مَن قُبرَا

ثبت عن النبي ﷺ قال: «**كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته ينتظر الإذن**».

قال القرطبي في التذكرة (٢٠٧): قال علماؤنا: «والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام». اهـ. ملك من ملائكة الرحمن موكل بالنفخ في الصور.

قال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، فهذه الآية تدل أنهما نفختان نفخة أولى؛ نفخة الصعق، ونفخة ثانية؛ نفخة القيام من قبورهم، وخروج الخلق من قبورهم.

كما بدأ خلقهم ربي يعيدهم سبحان من أنشأ الأرواح والصور

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ

ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[سبأ: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].

فهذا حق لا ينكره مسلم من المسلمين، بل حتى أهل الكتاب ما ينكرونه إلا من مسخت فطرته، وأشد من تجاهل ذلك الدهرية كما أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، والظن هنا بمعنى الكذب، أي يكذبون يتخرصون لما قالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥] أي نموت ونحيا على سبيل الإنكار حذف حرف الاستفهام الإنكاري، وقيل نحيا ونموت، أي: نحيا ثم نموت من المقدم المؤخر، وفي هذا نظر، وقيل: نموت أي كنا أمواتًا ثم حيينا، وليس هناك حياة أخرى كنا أمواتًا في أصلاب آبائنا، ثم حيينا على الدنيا، ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت كل هذه الأقوال التي ذكروها أنكر الله عليهم ذلك.

* * *

وقال:

حتى إذا ما دعا للجمع صارخُه وكلُّ ميتٍ من الأموات قد نُشرَا

قال الإلَه: قِفوهم للسؤال لكي يقتصَّ مظلُومُهم مِمَّن له قَهَرَا

يشير بهذا البيت إلى ما جاء في السؤال والقِصاص، والوقوف أدلة من القرآن والسنة كقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وحديث: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه؟**

وفيما أنفقه؟، وعن علمه ماذا عمل به؟» جاء الحديث عن أبي برزة، وعن ابن مسعود، وعن معاذ بن جبل، وهو حسن بمجموع طرقه.

وحديث القِصاص الذي رحل من أجله جابر بن عبد الله إلى عبدالله بن أُنيس شهرًا إلى مصر وفيه: «**أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحدٍ أن يدخل الجنة، وأحد يطلبهُ بمظلمة**»، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**».

وقال ﷺ كما في مسلم من حديث أبي هريرة: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم له، ولا متاع، قال: «**إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وذكر من أنواع الأعمال**»، ثم قال: «**يأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وسفك دم هذا، وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته، ولهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم، فطُرحت عليه**»، فهذه الأدلة تدل على أن ذلك يوم الدين قال الله سبحانه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قال أهل العلم: الدين هو الجزاء، وما أحسن ما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إلى الدَّيَّانِ يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ
ستذكر في الحساب إذا التقينا غدًا عند المليك من الملومُ

* * *

قال:

فيوقَفون ألوفًا من سنينهمُ والشمسُ دانيةٌ والرَّشْحُ قد كثُرَا

ويشير بهذا إلى الوقوف في أرض الموقف، في أرض المحشر

يقفون في تلك الأرض التي كقرصة النقي؛ ليس فيها علم لأحد، ويبلغ منهم العرق على قدر أعمالهم، تدنوا الشمس من الرؤوس مقدار ميل لحديث: الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**» قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ، مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

والصحيح في الميل: أنه الذي تقاس به الأرض، فيعرق الناس، ويفزعون إلى الأنبياء على ما تقدم ذكره، ومما يُضاف إلى ما مضى من حيث إنهم يُحاسبون قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

معناه: أنه يقف الخلائق جميعًا، وهم ألوف مؤلفة، لا يحصي عددهم إلا الله سبحانه وتعالى كلهم يقفون في ذلك الموقف على ما دلت الأدلة.

وقوله: (من سنينهم) أخذًا من قول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا

جَمِيلًا﴾ [المعارج: ١-٥].

وقوله في سورة السجدة: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

وقوله في سورة الحج: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. قال الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: «الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر، ويدل على هذا قول الله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩-١٠]. وعز ذلك إلى الإتقان».

ومعنى ذلك: أنه كألف سنة على المؤمن، وخمسين ألف سنة على الكافر، وذكر قولاً آخر، هذا أحسن منه.

* * *

وقال:

وجاء ربُّك والأملاكُ قاطبة لهم صفوفٌ أحاطت بالورى زُمَرَا

وجيء يومئذ بالنار تسحبُها خزانها فأهالت كلَّ مَن نظَرَا

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢١-٢٣].

وقال النبي ﷺ: «**يخرج عنق من النار له لسان ينطق، وعينان يبصر بهما يقول: وكلت بكل جبار عنيد، وبمن دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين**» أخرجه الترمذي، وأحمد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

* * *

قال :

لها زفيرٌ شديدٌ من تغيظها على العُصاة وترمي نحوهم شَرَرَا

قال تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧].

وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١١-١٤].

وقال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٠-٣٣].

* * *

قال:

ويرسل الله صُحفَ الخلق حاويةً أعمالَهم كلَّ شيء جلَّ أو صغُرَا

فمَن تلقَّته باليمنى صحيفتُه فهو السَّعيد الذي بالفوز قد ظفرَا

ومن يكن باليد اليسرى تناولُها دعا ثُبورًا وللنيران قد حُشرَا

إشارة إلى ما جاء من الأدلة بأن أعمال العباد في صحف لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾

فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٥].

وقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٩] الآيات.

ولا تعارض بين هذه الآيات الذي يُعطى كتابه بيمينه لا إشكال في ذلك.

أما من أُعطي كتابه بشماله، فيكون من وراء ظهره يأخذه من وراء ظهره، فلا تعارض بين آية الحاقة، وبين آية الانشقاق هذا من الأدلة على تلك الصحف التي يكتب فيها كل شيء.

وأعظم ما يكون في صحيفتك يوم القيامة أيها المسلم هو توحيد الله، فقد ثبت عند أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**يؤتى برجل فيُقال له: يا ابن آدم هل ظلمك كتبتي؟ فيقول: لا، يقول: هل لك من حسنةٍ اليوم، فيقول: لا، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنك لن تُظلم اليوم، فيعطى بطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع في كفة حسناته، فتطيش بتلك السيئات**» قال في الحديث: «**ولا يثقل مع اسم الله شيء**».

* * *

قال:

ووزنُ أعمالهم حقٌّ فإن ثقلت بالخير فاز وإن خفَّت فقد خسرَا

وهكذا الميزان توزن أعمالهم ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦-١١].

وقوله: (موازينه): أي أعماله الموزونة، وإلا فالميزان واحد؛ لحديث أبي هريرة المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «**والميزان بيد الرحمن يخفض القسط، ويرفعه**» وإنما لفظة الموازين بتعدد الموزونات، فهو ميزان واحد توزن فيه جميع أعمال العباد من خيرها وشرها، مثاقيل الذر تظهر في ذلك الميزان، والأعمال تصير يوم القيامة على أشياء مجسمة معروفة لها ثقل الأعمال في هذه الدنيا، حجمها، وكذلك أثرها على القلوب، وعلى الوجوه أما في الآخرة فشيء حسي.

وفي الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**» وَقَالَ: «**اقْرَءُوا فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**».

هذا دليل أن أعمال الكفار توزن، وجاء ما يعارض ذلك أنها لا توزن، وهو قول الله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، والجمع بين الحديث، والآية أنهم لا مقدار لهم، ولا قيمة لهم، وهم للنار يساقون إليها، ولا توزن أعمالهم، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: ٧١] يجب على المسلم أن يعتني بنفسه من حيث تثقيل حسناته في ذلك الميزان.

* * *

وقال:

وأنَّ بالمثل تُجزى السيِّئات كما يكون في الحسنات الضِّعف قد وفرَا

من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده ورحمته بهم أن جعل السيئة بمثلها، والحسنة بعشر أمثالها، قال الله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

هذا، وقد يُضاعف الله لمن يشاء من عباده أكثر من ذلك، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وفي الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من جاء بالحسنة؛ فله عشر أمثالها، أو أزيد، ومن جاء بالسيئة؛ فجزاء سيئة بمثلها، أو أغفر**».

وبنحو ذلك من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ**

عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» متفق عليه - أي تركها لله، ومن أجل الله، وخوفًا من الله، للحديث الآخر: **«إنما ترك ذلك من جراءي»** أما إن تركها لعجزٍ أو لغير خوفٍ من الله سبحانه وتعالى، فلا يؤجر، بل يأثم بحسب ذلك، ومع هذا كله فإن هناك مكفرات أخرى أيضًا للسيئات مثل الوضوء، والصلاة، والصيام، والحج، والكلمة الطيبة، وأعظم مكفرٍ لها هو التوحيد، ومع هذا كله رُبَّ إنسان يأتي يوم القيامة وصحيفة سيئاته أكثر من صحيفة حسناته.

قال بعض السلف: هلك من غلبت آحاده عشراته.

* * *

قال:

وكلُّ ذنب سوى الإشراكِ يغفرُه ربِّي لِمَن شا وليس الشركُ مُغتَفرَا

الأدلة في ذلك واضحة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. أي ما دون الشرك بالله من الذنوب يغفر الله عز وجل لصاحبه إن شاء، وأما من مات مشركًا بالله شركًا أكبر؛ فإن الله لا يغفر له؛ لأنه ندد بالله عز وجل غيره.

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] صاحب الشرك لا يفلح.

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ

لَهُۥ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: «**إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك، ولا أُبالي يا بن آدم لو آتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا إلا أتيتك بقرابها مغفرة**»، والحديث حسن بشواهده.

والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

* * *

قال:

وجنَّة الخُلد لا تفنى وساكنُها مخلَّدٌ ليس يخشى الموتَ والكبرَا

الجنة لا تفنى؛ فهي دار القرار قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] دار قرار لأهلها.

والنار دار قرار لأهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣١-٣٦].

هذا عطاء الله، ما له من نفاد، ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند مسلم أن النبي ﷺ قال: **«يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة، إن لكم أن تحيوا؛ فلا تموتوا أبدًا، وأن تنعموا؛ فلا تبأسوا أبدًا، وأن تصحوا؛ فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبوا؛ فلا تهرموا أبدًا»**.

اليهود قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]. يقولون بفناء الجنة، والنار، وقلدهم في ذلك الجهمية، وقالوا: بفناء الجنة والنار.

هذه أقوال أهل الضلال، أما ما جاء عن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم فهناك كلام أنهما يقولان: بفناء النار، أما الجنة فلم يقولا بفنائها، وهذه زلة تعتبر، ورد عليهما في ذلك الصنعاني برسالة حققها الألباني.

* * *

قال:

أعدَّها اللهُ دارًا للخلود لِمَن يخشى الإلَهَ وللنَّعماء قد شَكَرَا

هي دار الصادقين، ودار الشاكرين، دار المتقين قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦-٤٧].

وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٧-٩].

وقوله: (أعدها) على ذلك أدلة كثيرة؛ أن الجنة معَدة للمتقين للمؤمنين، وأن النار معدة للكافرين ذكرها ابن أبي العز فيشرح الطحاوية عند قول الطحاوي: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا، ولا تبيدان)، منها: قول النبي ﷺ: «**تناولت قطفًا من الجنة لو أخذته؛ لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**»، وقال النبي ﷺ: «**إن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وإن غرسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله**»، وقال: «**من قال لا إله إلا الله غُرست له نخلة في الجنة**»، وقال: «**عُرضت عليَّ الجنة، والنار رأيتُ النار أكثر أهلها النساء، ورأيتُ الجنة أكثر أهلها الفقراء**».

وهذا رد على المعتزلة الذين يقولون: هي لم توجد إلَّا يوم القيامة.

قوله: (وللنعماء قد شكرا) الشكر يشمل سائر الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال عز وجل﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۖ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

والواجب على المسلم أن يشكر الله عز وجل على جميع نعمه قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وما من نعمةٍ عليك إلَّا ولله عليك نعمة تستوجب الشكر لتلك النعمة التي بسببها حصلت لك النعمة التي أنت فيها، كما ذكر الشافعي في مقدمة رسالته قال:

الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدي ماض نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها، وقال بعضهم:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلَّا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر

فلا تستطيع أن تبلغ شكر جميع نعمة الله كما أسداها عليك، ولكن الله سبحانه وتعالى يوفقك للطاعة، ويُثيبك، ويلهمك الدعاء ويجيبك، فله الفضل والمنة.

* * *

قال :

وينظرون إلى وجه الإلَه بها كما يرى الناسُ شمسَ الظهر والقمَرَا

الدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣-٢٤].

وحديث جرير بن عبد الله البجلي أن النبي ﷺ قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**»، وفي لفظٍ: «**كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامون في رؤيته**» هذه من الأدلة على رؤية الله سبحانه وتعالى في أرض المحشر.

ومن الأدلة على رؤية الله عز وجل في الجنة حديث أبي موسى الأشعري، وفيه: «**ما بين القوم، وبين أن يروا ربهم إلَّا حجاب الكبرياء عن وجهه**...» والحديث في الصحيح، وفي تفسير قول الله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فُسرت الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل؛ كما في حديث صهيب بن سنان عند الإمام مسلم.

فالرؤية ثابتة في موضعين، رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

* * *

قال:

كذلك النارُ لا تفنى وساكنُها أعدَّها الله مولانا لِمَن كَفَرَا

ولا يخلد فيها مَن يوَحِّدُه ولو بسفك دم المعصوم قد فَجَرَا

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

أما قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

فإن قوله: (خالدًا) فيها مفسر عند أهل العلم بالمكث الطويل، وقيل: إن كان مستحلًا، وقيل: هذا في من كان ضيق عليه دينه، فمات على الكفر لحديث: «**لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يُصب دمًا حرامًا**»، ولحديث: «**لا يزال المؤمن معنقًا صالحًا، ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بلح**» أي انقطع عن العمل، ومن كان حاله كذلك فإنه يصير من أهل النار.

أما من مات على توحيد الله سبحانه؛ فهو من أهل الجنة، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه، قال النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله صدقًا من قلبه دخل الجنة يومًا من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**»، وقال النبي ﷺ لما قال له أبو هريرة: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**لقد علمت أنه لا يسأل عن هذا أحدٌ قبلك لما علمت من حرصك على العلم أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله صدقًا من قلبه**»، والحديث في الصحيح، وأحاديث الرجاء، وأحاديث الشفاعة، وأحاديث فضل التوحيد من هذا الباب، فلا يخلد في نار جهنم إلا الكفار المشركون أصحاب الشرك الأكبر، والكفر الأكبر الذين ماتوا على ذلك.

وأما أصحاب المعاصي دون الشرك، فإنهم تحت مشيئة الله إن شاء عذبهم بذنوبهم ثم مآلهم إلى الجنة، وإن شاء غفر لهم، وأدخلهم الجنة دخولاً أوليًا.

* * *

قال :

وكم يُنجي إلَهي بالشفاعة مِنْ خير البريَّة من عاص بِها سجرَا

الشفاعة يشترط فيها رضى الله عن الشافع، والمشفوع، وإذن الله للشافع أن يشفع في ذلك الشخص بعينه قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وأن يكون قادرًا على الشفاعة، وأن تكون من مسلم لأن الكافر لا شفاعة فيه، ولا له قال عز وجل: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وثبت من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»، ومن حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**خيرت بين الشفاعة، وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين**»، وسبق حديث أبي هريرة، وهو دليل على هذا، وهو في الصحيح: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله صدقًا من قلبه**» يشفع النبيون، ويشفع المؤمنون، ويشفع رب العالمين سبحانه وتعالى، ويُخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، مثقال حبة من إيمان، مثقال خردلة من إيمان.

والمقصود بالشفاعة الذي ذكرها الناظم هي الشفاعة في خروج الموحدين من النار، أما الشفاعة العظمى، فلا خلاف فيها وهي المقام المحمود قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الاسراء: ٧٩].

يأتون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمدًا ﷺ، فيشفع في أهل الموقف برهم، وفاجرهم يريحهم الله

من ذلك الموقف منهم من يذهب إلى النار، ومنهم من يشفع له بدخول الجنة، وهناك شفاعات أخرى.

وأول من يشفع في فتح باب الجنة هو رسول الله ﷺ، وقد يشكل على عدم الشفاعة في الكفار شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب وتلك شفاعة ليست مطلقة إنما هي مقيدة، قال له العباس: يا رسول الله، ماذا أغنيت عن عمك، فقد كان يحوطك، ويغضب لك؟ قال: «**هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا؛ لكان في الدرك الأسفل من النار**».

وقال النبي ﷺ: «**إن بني فلان ليسوا بأوليائي إنما وليّ الله، وصالحوا المؤمنين غير أن لهم رحمًا سأبلها ببلالها**»، فهذا بقدر ما أحسن إلى النبي ﷺ بالدفاع عنه، والنصرة له شفع فيه شفاعة مقيدة.

وللمزيد من هذا الموضوع راجع ما كتبه شيخنا رحمة الله عليه في كتابه الشفاعة فهو مرجع في بابه.

الحوض

قال:

وأنَّ للمصطفى حوضًا مسافتُه ما بين صَنْعَا وبُصرَى هكذا ذكرَا

أحاديث الحوض متواترة، وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه جملة، والحوض له ميزابان من الكوثر، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

والحوض في عرصات القيامة أرض المحشر يخرجون من قبورهم في أشد ما يكونون من العطش، فمن شرب من ذلك الحوض لم يظمأ أبدًا، كيزانه مثل نجوم السماء، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، كل هذه الأوصاف ثابتة للحوض طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء.

وجد من الأمراء من كان ينكر الحوض، من بعض الأمراء قال له أنس رضي الله عنه أدركنا العجائز إذا دعت الله تقول: اللهم اسقني من حوض نبيك، وهذا في السنة لابن أبي عاصم.

وثبت في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ**» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ، فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ**».

هذه الثلاثة المواضع من أهم المواضع: عند الصراط يتقادع الناس، ويسقطون إلَّا من رحم الله، وعند الميزان من خف وزنه

هلك، وعند تطاير الصحف من أخذ كتابه بشماله هلك، والنبي ﷺ واقف عند الصراط يقول: «**رب سلم سلم**».

قال الإمام ابن كثير في تأويل حديث أنس من البداية والنهاية ما معناه: أن الحديث ليس فيه الترتيب؛ فالحوض في عرصات القيامة، وليس بعد الصراط، والميزان، ومن أهل العلم من ذهب يؤول هذا الحديث على اعتبار حوضين حوض قبل الصراط، وحوض بعده، وهذا لا دليل عليه، على إثبات حوضين للنبي ﷺ، ولم يثبت في تلك الأحاديث أن لكل نبي حوض بل هو من خصائص رسول الله ﷺ أما حديث لكل نبي حوض، وأرجو أن أكون أنا أكثرهم واردًا، فلم يثبت.

قال:

أحلَى من العسل الصافي وأنَّ كِيزَانَه مثلُ النجوم تُرَى
ولم يَرِدْه سوى أتباع سُنَّته سيماهم: أن يُرى التَّحجيل والغُرَرَا

هذا ما جاء عن النبي ﷺ أن هذه الأمة يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، وبذلك يعرف ﷺ أمته من غيرهم من سائر الأمم قال: «**أرأيتم لو أن لأحدكم خيلٌ بهم دهم خيل غرٌّ محجلة أيعرف خيله؟**» قالوا: نعم قال: «**فإن هذه الأمة تأتي يوم القيامة غرًّا محجلين من أثر الوضوء**».

ولا يَرِدُ الحوض إلَّا أتباع سنته أمَّا الذين أعرضوا عن سنته سواء كان أعراضهم كليًّا بحيث صاروا كفارًا أو جزئيًّا بحيث صاروا مبتدعة، فإنهم لا يَرِدُون على الحوض.

* * *

قال :

وكم يُنحَّى ويُنفَى كلُّ مبتدع عن وِرْدِه ورجالٌ أحدثوا الغيَرَا
وأن جسرًا على النِّيران يَعبُرُه بسرعة مَن لمنهاجِ الهُدى عبَرَا

أي غيروا في دين الله، وبدلوا يذادون عن الحوض، فيقول النبي ﷺ: «**أمتي أمتي**» فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيدعوا عليهم، فيقول: «**سُحقًا سحقًا بُعدًا بعدًا لمن غير وبدل**» كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ في عدة أحاديث على هذا، منها ما هو بهذا اللفظ، ومنها:

حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصيحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

وحديث: أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك؛ إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري**».

وحديث بن المسيب، أنه كان يحدث عن أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يرد على الحوض رجال من أصحابي، فيحلؤون عنه فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك؛ إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري**».

ومن هذه الأحاديث أخذ الناظم وغيره أن المبتدعة لا يَرِدون الحوض على رسول الله ﷺ.

لهذا الحديث سُحقًا سحقًا بُعدًا لمن غير وبدل، يذادون وممن يذاد أناس كانت لهم صحبة ثم ارتدوا على أدبارهم، وماتوا على

الردة، فيقول النبي ﷺ: «**إنهم أصحابي أصحابي**»، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ما زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

وقد ذهب الرافضة يستدلون بهذا الحديث، لفظة: «**أصحابي أصحابي**» أن الصحابة لا يردون الحوض لم يلتفتوا إلى كلمة: «**ما زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**».

بل ربما أخذوها وكفروا بها الصحابة رضوان الله عليهم، ومن فسق الصحابة جميعًا أو كفر الصحابة فهو كافر، ونُقل الإجماع على ذلك كما في الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية ؛ فإن الله قد أثنى عليهم في كتابه العزيز في أدلة سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله، فمن فسقهم أو كفرهم يكون رد القرآن والسنة.

* * *

قال:

وأن جسرًا على النِّيران يَعبُرُه بسرعة مَن لمنهاجِ الهُدى عبَرَا

المقصود به الصراط، قال الله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

من ثبت على هذا الصراط المستقيم الذي هو الإسلام - بدليل حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والصراط هو الإسلام**»- من ثبت عليه حتى يلقى الله ثبت إن شاء على ذلك الصراط الممدود على جسر جهنم، أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من

السيف، مدحضة مزلة، وعلى الصراط كلاليب معلقة مأمور بخطف من أمرت بخطفه، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكردس على وجهه في النار»، والنبي ﷺ واقف على جنبتي الصراط يقول: «**رب سلم سلم**» كما في حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وذلك الصراط جهنم تحته قال الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

وهذا الورود معناه عند كثير من أهل العلم وهو الصحيح المرور على الصراط، كل من مر على الصراط يناله من لفح النار بقدر بطئه وسرعته، من كان سريعًا مارًّا كالبرق لا يناله إلا اليسير، ومن كان دون ذلك كأشد الرجال يناله بقدر سرعته، ومرورهم على الصراط على قدر أعمالهم كما ثبت من حديث أبي هريرة: تجري بهم أعمالهم، والله المستعان.

الصحيح فيمن اختبر من أهل الفترة وصار من الناجين أنه ينجو يصير من الناجين إن مر على الصراط فهو من الناجين، ومن لم ينجُ هلك وصار من أهل النار فيختبرون أهل الفترة من نجا منهم، نجا من الصراط وما تحت الصراط.

والكفار يتقادعون إلى النار ولا يمكنون من السير على الصراط.

فصل في الإيمان

قال :

وأنَّ إيمَانَنا شرعًا حقيقتُه قصدٌ وقولٌ وفعلٌ للذي أمرَا

قوله: (الإيمان أنه يزيد وينقص، وأنه قول وعمل)، هذا معتقد أهل السنة: الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة**».

وقال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه**» الحديث.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

القيرواني رحمة الله عليه، وتبعه الناظم يسلكان مسلك السلف رضوان الله عليهم في الإيمان، ويردان على المرجئة وعلى سائر المخالفين في هذا الباب.

والمخالفون في باب الإيمان كثير، وممن اشتهر بالخلاف في الإيمان هم المرجئة الذين يقولون: الإيمان واحد زيادته ونقصانه كفر اعتمادًا منهم على حديث موضوع، من طريق أبي المهزم وأبي المطيع، وأبو المطيع البلخي متروك، وأبو المهزم مجهول، واعرضوا عن أدلة الكتاب والسنة منها ما ذكرناه إشارة إلى ما بقى من ذلك،

وعلى حد قول المرجئة: إن الإيمان واحد لا يزيد ولا ينقص، فأفجر الناس إيمانه كإيمان أبر الناس، والله عز وجل يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

ويقول: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ويقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»، وهذا دليل أن الإيمان يضعف ويقوى.

وحاصل ذلك أنها فرق تقوم متعددة، تخالف الحق والصواب، والحكم في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من خالفه فهو المخالف للحق ومن وافقه فهو المصيب للحق.

* * *

قال:

وأنَّ معصيةَ الرحْمن تُنقصُه كما يزيد بطاعات الذي شَكَرَا
وأنَّ طاعةَ أولي الأمر واجبةٌ من الهُداة نجوم العلم والأُمرَا
إلَّا إذا أمروا يومًا بمعصية من المعاصي فيُلغى أمرهم هَدَرَا

وأن أدلة زيادة الإيمان المتقدم ذكرها هي أدلة نقصانه كما قال الإمام البخاري في الباب[1] من كتاب الإيمان من صحيحه.

---

(١) في بعض تعاريف الصحابي من رأى النبي.... وتعريفه: بمن لقي النبي ﷺ أشمل للأعمى وغيره.

أولي الأمر هم العلماء والأمراء، أما إثبات أنهم الأمراء، فحديث: «**من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني**».

وحديث: «**اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**».

ومثل حديث: «**اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه**».

وحديث: «**يكونون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون**»، قالوا: ما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**تأخذون الحق الذي لكم وتسألون الله الذي عليكم، وتأدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**»، ونحو ذلك.

وأما الدليل على أن العلماء ولاة أمور: فقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فالدين يقوم بأولي الأمر من العلماء والأمراء الصالحين، العالم يبين حكم الله وولي الأمر ينفذه، فالناس يمتثلون طاعة أمرائهم في طاعة الله، والأمراء وغيرهم يمتثلون طاعة العلماء فيما بيَّنوه عن الله ورسوله، وطاعة الصنفين واجبة في غير معصية الله بالمعروف، «**إنما الطاعة بالمعروف**»، «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

إلا إذا أمروا يومًا بمعصية من المعاصي؛ فيلغى أمرهم هدرًا، سواء أولي الأمر من الأمراء، أو من العلماء إذا قلدوا وتوبعوا في معصية الله، فإن ذلك يكون تنديدًا منهم بالله قال الله عز وجل: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ما عبدوهم من دون الله، ولكن أباحوا لهم ما حرم الله، وحرموا عليهم ما أحل الله لهم؛ فأطاعوهم في ذلك، فصاروا أربابًا لهم، وجمهور العلماء على هذا التفسير، وإن لم يثبت الحديث به، فمن أمرك ممن له الطاعة بغير طاعة الله، فأمره هدر لا يسمع له في ذلك هو وأنت وسائر عباد الله مأمورون بطاعة الله، والله خلق الجميع لعبادته، ولم يخلق بعض الناس لعبادة بعض قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال عزوجل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

* * *

قال:

وأنَّ أفضلَ قرن للَّذين رأوا نبيَّنا وبهم دينُ الهُدى نُصرَا

الدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].

وقول النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحدِ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

وقول النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي أناس يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**» خير القرون تلك القرون؛ قلّت فيها البدع، وقلّ فيها الشر، وكثر فيها الخير؛ لحديث أنس في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**لا يأتي عام وإلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**».

وأنَّ أفضلَ قرن للَّذين رأوا نبيَّنا وبهم دينُ الهُدى نُصرَا

ضابط الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك هذا الذي له شرف الصحبة في الدنيا والآخرة، أما من رأى النبي ﷺ، ولم يكن مؤمنًا به، وقامت عليه الحجة، ووضعت له المحجة، ولم يستفد من تلك الرسالة إسلامًا حتى لقي الله عز وجل؛ فهو الكافر المعرض.

* * *

قال:

أعنِي الصحابةَ رُهبانٌ بليلهمُ وفي النهار لدى الهَيجَا لُيوث شَرَى

معنى ذلك: أنهم عبادٌ مجاهدون فهم مجاهدون بالليل، والنهار، ولو قرأت في تراجمهم ترى أن منهم من كان يقوم الليل، ومنهم من كان يقوم بعض الليل، ومنهم من كان يسرد الصوم، فمنازل الأشعريين كانت تُعرف بتلاوتهم بالليل، ومر النبي ﷺ ببيت أبي موسى الأشعري، وهو في الليل يصلي، ويقرأ القرآن، فقال: «**يا أبا موسى لو رأيتني البارحة، وأنا استمع لقرآتك**»، قال: لو علمت يا

رسول الله، إنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرًا.

ومر النبي ﷺ بابن مسعود وهو يقرأ سورة النساء يسحلها سحلاً قال: «**سل تعطه سل تعطه سل تعطه**» حين دعا ابن مسعود بذلك الدعاء الطيب العظيم: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى درجات الخلد، والنبي ﷺ قال: «**سل تعطه**».

وهكذا عبد الله بن عمرو بن العاص الملقب بعابد الصحابة معروفة سيرته في الصيام والقيام، وهكذا رسول الله ﷺ كان يقوم حتى تتفطر قدماه، وسائر الصحابة عباد في الليل، وفي النهار، إذا التقوا مع المشركين ليوث شرا.

غزوة مؤتة: يذكر ابن القيم في الزاد أن عدد المسلمين كانوا ثلاثة آلاف، وعدد المشركين كانوا مائة ألف، وأيضًا تعاون معهم قبائل أخرى بعدد نحو ذلك، قالوا: نطلب من رسول الله ﷺ المدد، فقال لهم ابن رواحة وغيره: إنكم جئتم لإحدى الحسنيين، فإما أن تنتصروا على هؤلاء، وإما أن تلقوا الله عز وجل، وفعلاً قاتلهم ثلاثة آلاف، وفي ذلك اليوم قتل زيد بن حارثة أول أميرٍ أمَّره رسول الله ﷺ على الجيش وقال: «**فإن قتل زيد، فجعفر، فإن قتل جعفر، فابن رواحة**»، فقتل زيد، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ولما احتدم القتال عقر فرسه حتى لا يكون للكافرين، ثم نزل، وضربوا يده فقطعوا يده التي فيها الراية، فأخذها باليد الأخرى، ثم قطعوا الأخرى، ولا يزال يأخذها، وهو مقبل غير مدبر، ليس في تلك الضربات إلا من أمامه فلُقِّبَ بذي الجناحين، له جناحان يطير

بهما في الجنة، رضوان الله عليه، قطعت يداه في سبيل الله تعظيمًا لشعائر الله ما يريد الراية تسقط، فلما قتل أخذ الراية ابن رواحة، وما يزال يرتجزه ويكر بنفسه على المشركين، وقاتلهم حتى قتل، قال النبي ﷺ، وعيناه تدمعان حين نعى للناس هذا الخبر قال: «**ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد بن الوليد**»، وبعد ذلك ما سقطت الراية ألبتة، وكسر تسعة أسياف في المشركين، ولم تبق معه إلا صفيحة يمانية، ولم تحصل هزيمة للمسلمين؛ إن الهزيمة من ورائها فرار، من ورائها أسر، أما هؤلاء فصالوا، وجالوا في مائة ألف، ومائة من المدد الآخر، ماذا سيكون هذا العدد اليسير، لكنهم فعلاً أنهم ليوث شرا، وما عسى الليوث بجانبهم، ولولا الله سبحانه وتعالى ثم هؤلاء الأُسود الذين قدموا أموالهم، ودماءهم رخيصة في سبيل الله عز وجل؛ ما وصل إلينا هذا الدين كما ترون، ثم بعد هذا كله، بعد هذا الجهد العظيم يقوم الرافضة يسبُّونهم ويُفسِّقونهم ويُكفِّرُونهم، على الرافضة من الله ما يستحقون، وبعد هذا كله ترى بعض الناس يتنصّلو عن القيام بواجب رعاية هذا الخير الذي قد وصل إلينا ما استطعنا أن نقدم شيئًا فقط لنصبر عليه، ونثبت عليه إن كنا كسالى ضعفاء ما قمنا بشيء، نصبر على هذا الخير، فإنهم قد اجتهدوا فيه رسول الله ﷺ، وأصحابه أوذوا وقطعت أشلاءهم، وأريقت دماءهم، وقدموا أموالهم، فلهم منا الدعاء الصالح، والترضي عنهم، والمحبة الشديدة لرسول الله ﷺ، وأصحابه، والوقوف ضد من أراد بهم سوءًا، أو تنقصهم بقدر ما نستطيع، فعليهم رضوان الله، وبأبي وأمي رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام البررة.

قال :

وخيرُهم مَن ولي منهم خلافته والسَّبق في الفضل للصِّدِّيق مع عُمَرَا

هذا البيت نظير ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية :

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي رزق الهدى من للهداية يسأل
اسمع كلام مُحقِّقٍ في قوله لا ينثني عنه ولا يتبدل
حب الصحابة كلهم لي مذهب ومودة القربى بها أتوسل
ولكلهم قدر علي وفضائل لكنما الصديق منهم أفضل

هذا أمر مجمع عليه بين الأمة: أن أفضل الصحابة رضوان الله عليهم، وغيرهم من أمة محمد ﷺ هو أبو بكر الصديق، وبعده عمر الفاروق الذي لو سلك فجا لسلك الشيطان فجًا غير فجه، وبعده عثمان ذو النورين الذي كانت تستحي منه الملائكة، وبعده علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ، وصهره، والذي قال النبي ﷺ: «**يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»، وقال: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**».

وهكذا بقية العشرة المبشرين بالجنة، وسائر الصحابة قد أثنى الله عليهم ورسوله ثناءً عظيمًا حتى، والله إن الإنسان ليتمنى أن الله عز وجل جعله في ذلك الرعيل، ولكن قدر الله وما شاء فعل، ولعل الله أراد أن نبتلى بأن نكون في آخر الأزمان، وفي أوقات كثرة الفتن.

ثم ليبشر من كان ثابتًا على كتاب الله وسنة رسوله، ولو كان متأخرًا، فقد ذكر شيخ الإسلام : إن المتأخر له من الأجر أعظم، من المتقدم من حيث العمل، لحديث: «**العامل منهم له أجر خمسين منكم**» ليس معناه: أن المتأخرين أفضل ولحديث: «**أين إخواني؟**»، فأنتم أصحابي، أو نحو ذلك يقول شيخ الإسلام: لأن النبي ﷺ بين

ظهرانيهم، ولأنهم ينزل فيهم الوحي، ولأنهم في خير القرون، ولأن النبي ﷺ يرشدهم، وإذا جلسوا عنده يكونون كأنهم رأوا الجنة والنار رأي العين، أما هؤلاء المتأخرون، ففي زمن الفتن، وهكذا ليسوا معاصرين للنبي ﷺ، ولم يجلسوا بين يديه، وغاية ما فيه أنهم يسمعون، ويؤمنون، ويقرأون ويؤمنون، فهذا من حيث الأجر أعظم، وأفضل هذا مؤدى كلام شيخ الإسلام.

* * *

قال :

والتابعون بإحسان لهم وكذا أتباع أتباعهم مِمَّن قفى الأثَرَا

يشملهم قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* * *

قال :

وواجبٌ ذِكرُ كلّ من صحابته بالخير والكفُّ عمَّا بينهم شَجَرَا

نعم هذا معتقد أهل السنة؛ أن لا يخاض فيما شجر بينهم إذا ذكره من باب شيء تاريخي مذكور في علوم السنة، فإنه لا يخوض في ذلك على سبيل التنقص لطائفة منهم، ولا الوقيعة بأحدٍ منهم، ولكن يذكره عبارة عن تاريخ، عما حصل مع الترضي، والترحم، وسؤال الله سبحانه وتعالى أن يرضى عن الجميع، فإنهم كلهم أخيار أبرار.

وذلك الذي حصل شيء قدره الله، وما شاء فعل، ويجب محبة الجميع، والطحاوي رحمة الله عليه يقول: وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

فالذي يخوض، في فلان حصل منه، وفلان وقع منه يخشى علي أن يقع في قلبه بغض واحد منهم، فيصير منافقًا، فإن النبي ﷺ قال. «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق**»، ولفظ: (الأنصار) يصدق على المهاجرين والأنصار كلهم يقال لهم: أنصار ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

هذا والمؤمن شأنه الرحمة، وشأنه فعل الخير إنما الرافضة الذين ورمت قلوبهم على أهل السنة، وعلى الصحابة رضوان الله عليهم، هم أصحاب الحقد، وعلى كل واحد أن يدعو الله عز وجل أن يجنبه الفتن، والله المستعان.

* * *

قال:

فلا تَخُض في حروب بينهم وقعت عن اجتهاد وكنْ إن خُضتَ معتذِرَا

إذا ذكرت ما شجر بينهم كن معتذرًا لهم، وإن ذلك ما كان عن هوى، فإنهم خيار الأمة، ومن هنا تعلم أن ما حصل بينهم يرجى لمن كان مجتهدًا وإن حصل منهم خطأ أن تغفر له زلته، وأن يؤجر، ومن كان مصيبًا أن يكون له أجران فالمجتهد إذا أخطأ له أجر، وإذا أصاب له أجران.

* * *

قال :

والاقتداءُ بهم في الدِّين مفترَضٌ فاقتَد بهم واتَّبع الآثار والسُّوَرَا

قوله: (والاقتداء بهم في الدين مفترض) أي في دين الله عز وجل، هذا عليه أدلة كثيرة منها قول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومنها ثناء النبي ﷺ عليهم كما في حديث عمران رضي الله عنه، وغيره أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»... الحديث.

ومنها ما ثبت من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، فإنه من يعش منكم؛ فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**»، والشاهد في الحديث: (وسنة الخلفاء الراشدين) أي طريقتهم.

ولما توفي رسول الله ﷺ قال عمر بن الخطاب للصحابة: أيكم يرغب أن يتقدم أبا بكر؟ قالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر يدل أنهم كانوا مقتدين برسول الله ﷺ، ومع ذلك سالكين لفهم أكابرهم.

ويؤيد ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا عليّ بن أبي طالب فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقي الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت، إني كنت كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**» الشاهد أن النبي ﷺ حين كان يذكرهم معه كذلك أيضًا من بعدهم.

قال السائب بن يزيد رضي الله عنه: كان النداء على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر، أوله إذا جلس الخطيب على المنبر، فذكر أبا بكر وعمر.

وقال أنس: صليتُ خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلم أسمع أحدًا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

وقال ابن مسعود: لقد حججت مع رسول الله ﷺ، ومع أبي بكر وعمر ما كان أحدٌ منهم يتم في مُنى، ولوددت أن لي ركعتين متقبلتين الأثر، الشاهد من ذلك اعتبار سنة الماضيين قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥]، هذا لا يدل على التقليد.

الواجب على المسلمين اتباع رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال عز وجل: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وهذا شامل للصحابة، ومن بعد الصحابة لكن القصد أنك تتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فهم هؤلاء الأخيار، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، ومن سار مسارهم ممن يسمى بالسلف الصالح رضوان الله عليهم، فهذا لازم، فالقرآن والسنة، وفهم السلف لا ينفك بعضهم عن بعض، ومن أراد فك ذلك أراد الوقيعة في الدين.

فلو أن إنسانًا أخذ القرآن فحسب، وقال: حسبنا القرآن يكفينا القرآن بلا سنة، هذا شأن الزنادقة من القرآنيين قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**يوشك أحدٌ منكم متكئ على أريكته شبعان ريان يقول: ما جاءنا عن الله أخذنا به، وإن ما جئت به وحيٌ يوحى**» الحديث.

ثم إن أراد أن يأخذ بالقرآن والسنة لكن على فهمه هو! المخالف لفهم السالفين الصالحين الموفقين بما قد لا يوفق به ذلك المجتهد من حيث قلة علمه، وضعف فهمه، وهزل اطلاعه، وغير ذلك هذا دليل على أنه قد يشط عن الهدى، ويقع في الردى.

فعليك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم سواءٌ كان ذلك في العقيدة، أو كان ذلك في الفقه، أو كان ذلك في التفسير، أو في سائر أمور دينك، وتعجبني كلمة الإمام أحمد عليه رحمة الله إذ يقول: إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بسلفٍ، فافعل، وليس معناه أن هذا تقليد أنت خذ الحق سواء كان

مع هذا الإمام أو مع غيره، لكن إن وجدت سلفًا في هذه المسألة، فإن قلبك يطمئن أكثر، وتزداد يقينًا أنك لست منفردًا بهذا القول.

والاقتداءُ بهم في الدِّين مفترَضٌ فاقتَد بهم واتَّبع الآثار والسُّوَرَا

كلام طيب، اقتدي بهم من غير تقليد اتبع الآثار، والسور، والآثار تطلق على معنيين تطلق على أحاديث رسول الله ﷺ يقال لها: أحاديث، ويقال لها: أخبار، يقال لها: سنن، ويقال لها: آثار، أي آثار رسول الله ﷺ، وتطلق على أخبار الصحابة رضوان الله عليهم، فيقال: هذا خبر، وهذا أثر، الخبر للحديث، والأثر لقول الصحابي، وربما تُطلق الآثار على أقوال التابعين بقيد يُقال: أثر سعيد ابن المسيب، أثر الزهري، وهكذا فاكتف به، ولكن اتبع الكتاب والسنة هذه سلسلة يُعدّ المتأخر متصلاً بمن قبله في دين الله ليس منبترًا ولا منفردًا أما المبتدعة فسبب هلكتهم أنهم ينفردون، ويتخذون لهم رأسًا، ويقلدونه، وإذا تحاكموا رجعوا إليه ما يرجعون إلى الكتاب والسنة وإلى فهم السلف رضوان الله عليهم، ولهذا تجد الضلال فيهم أكثر والهدى فيهم أقل، والله المستعان.

* * *

قال :

وتركُ ما أحدثه المُحدِثون فكم ضلالة تبعت والدِّين قد هُجِرَا

اترك ما أحدثه المحْدثون، هذه والله نصيحة جميلة اترك ما أحدثه المحدثون كم من ضلالة في الدين، ما زال هو الدين، دين الله ثابت بالكتاب والسنة، من ابتغاه وجده.

ونعمَ ما قال معاذ بن جبل، قال له بعض الناس: أوصنا، قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما

وجدهما، وكرر ذلك ثلاثًا، ثم أحالهم إلى أربعة من كبار أهل العلم في زمنه قال: واتي عويمر أبا الدرداء، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنه عاشر عشرة في الجنة**» الشاهد من ذلك أن الإيمان مكانه، والعلم مكانه إنما التقصير والتفريط منك أيها الإنسان، وإلّا إذا التمست الحق وجدته.

فأعرض عن أصحاب الغفلة، قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وأعرض عن أهل الأهواء، قال الله عز وجل ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ذرهم وبدعتهم «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، «**إن الله لا يقبل توبة صاحب بدعة حتى يدع بدعته**».

أهل البدع جلساء سوء أهل شر، فاجتنبهم لا يصيبنك من فتنتهم، فإنك إن جالست الأخيار؛ عُرفت بهم، وإن جالست الأشرار؛ عُرفت بهم، والأدلة كثيرة في هذا الصدد.

* * *

وقال :

إنَّ الهُدى ما هدى الهادي إليه وما به الكتاب كتاب الله قد أمَرَا

هذا هو الهدى الذي هدى إليه الهادي، والهادي من أسماء الله بدليل قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

فالهدى ما هدى الله إليه، وهكذا رسول الله ﷺ يهدي بمعنى يدعو، ويدل، ويرشد قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فهذا هو مصدر الهداية كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

وقال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣]، الآيات.

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

فمصدر الهداية هو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومن هنا يأخذ المسلم دينه من الكتاب والسنة هذا مصدر الهداية.

* * *

وقال :

فلا مراء وما في الدِّين من جدلِ وهل يُجادل إلَّا كلُّ مَن كفرَا

المقصود: بالمراء في الدين ما دل عليه مثل حديث: «**إن جدالاً في القرآن كفر**» يشير إلى مثل هذا الحديث، هذا المراء والجدال الذي هو كفر المقصود به التشكيك في القرآن، فمن كان هذا حاله إما أن يشك، أو يشكك في القرآن بأنه حق؛ أو في صحيح السنة هل هي حق أم ليس بحق؟ فإن هذا كفر، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

فهو حق قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

كلام الله حق الذي يماري فيه، أو يجادل فيه يكون قد كذَّب رب العالمين، وهذا كفر.

* * *

وقال :

فهاك في مذهب الأسلاف قافيةً نظمًا بديعًا وجيزَ اللَّفظ مختصرَا

فهاك: أي خذ من مذهب الأسلاف رضوان الله عليهم قافية على طريقة السلف، ونعمًا قال، وهي قافية طيبة مفيدة حذا فيها حذو القيرواني رحمة الله عليه.

والذي يسلك في كتابته أو خطابته، أو دعوته كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مسلك السلف تجد كلامه قويًا مؤثرًا نافعًا، والذي يسلك في ذلك مسلك الخلف تجد كلامه هزيلًا ضارًا غير مفيد؛ لأن ما بُني على حق، فهو حق، وما بُني على باطل، فهو باطل، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

قال عز وجل ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

* * *

وقال:

يحوي مهمّات باب في العقيدة من رسالة ابن أبي زيد[1] الذي اشتَهَرَا

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، -ووالده مشهور بأبي زيد- القيرواني، سمع من أبي سعيد بن الأعرابي، ومحمد بن الفتح، والحسن بن نصر السوسي، ودارس بن إسماعيل، وسمع منه خلق كثير من جميع الآفاق منهم: الفقيه عبدالرحيم بن العجوز السبتي، والفقيه عبد الله بن غالب السبتي، وعبد الله بن الوليد ابن سعد الأنصاري، وأبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولاني القيرواني، وخلق سواهم من علماء المغرب.

قال فيه الذهبي في تاريخ الإسلام وكان أبو محمد قد جمع مذهب مالك وشرح أقواله، كان واسع العلم، كثير الحفظ، ذا صلاح وورع، وعنه قال القاضي عياض: حاز رئاسة الدين والدنيا، ورحل إليه من الأقطار، ونخب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب، وملأ البلاد من تواليفه.

وقال في سير أعلام النبلاء الإمام العلامة، القدوة، الفقيه، عالم أهل المغرب، =

قوله: (الذي اشتهر) كان يلقب بمالك الصغير عندهم، لهذا يقول الذي اشتهرا لأبي زيد القيرواني، تعرفوا القيروان بينها وبين المدينة التي هي تونس مسافة يسيرة، افتتحها عقبة بن نافع رضي الله عنه، وذكروا في ترجمته أنه لما افتتحها دعا في أرجائها أن يملأها الله بالعلم والخير، وفعلاً امتلأت بعلم، وخير.

وبعد ذلك: هجم عليها الصوفية، وغيرهم من أهل البدع فيما يخبر إخواننا حفظهم الله من أهل ذلك البلد.

ذكر الذهبي في ترجمة عقبة بن نافع: أن القيروان كانت غابة، فلمَّا قدم ناد الوحوش إننا نازلون، فاظعنوا، فخرجت الوحوش تحمل أبناءها، واختط تلك المدينة بجيشه، وجعل فيها القيروان، وهي من أقدم المدن، وتاريخها تاريخ قديم، وفيها تراجم مخصصة تراجم أهل قيروان.

* * *

قال:

والحمد لله مولانا ونسأله غفران ما قلَّ من ذنب وما كثرَا

قوله: (الحمد لله مولانا ونسأله) فيه الثناء على الله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

= أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، ويقال له: مالك الصغير، وكان أحد من برز في العلم والعمل.

توفي سنة (٣٨٩) ودفن بالقيروان.

وقال: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فله الحمد هو المولى هو رب العالمين مالك يوم الدين، وبما أنه سبحانه وتعالى له الملك كله، والأمر كله، والفضل كله، وبيده الخلق كله، فيجب حمده وشكره، قال الله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة، فيحمده عليها، ويشرب الشربة، فيحمده عليها»**.

فحمد الله عظيم قال النبي ﷺ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم»** متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال عليه الصلاة والسلام كما في حديث أبي هريرة عند مسلم: **«من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»**، وهذا الفضل فيها؛ لأنها تعظيم لله وتحميد الله وتنزيه الله سبحانه وتعالى.

قوله (غفران ما قل من ذنب وما كثرا) هذا الذي ينبغي أن الإنسان المؤمن يعمل العمل الصالح، ويَسأل الله عز وجل المغفرة قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٦-١٧] فهؤلاء عندهم إيمان، وطلب المغفرة.

ويقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١]. هذا شأن الصالحين أنه يعمل العمل الصالح، ولا يزال وجلاً من الله سبحانه وتعالى.

وما أحسن ما يعزى إلى الإمام أحمد أنه كان يقول في دعائه: اللهم رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء حتى لا تسألني عن شيء، وهو من تعرفون علمه، وزهده، وورعه، وصدعه بالحق، وقبل هذا حديث رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي، وإسرافي في أمري، وكل ذلك عندي**».

* * *

قال:

ثمَّ الصلاةُ على مَن عمَّ بعثته فأنذر الثَّقلَين الجنَّ والبَشَرَا
ودينُه نَسَخ الأديانَ أجمَعَها وليس يُنْسَخُ ما دام الصَّفَا وحِرَا

يعني بعثة رسول الله ﷺ عامة، وليست خاصة، قال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار**».

أما قول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فهذا معناه ليكن من أول من تنذر عشيرتك لما لهم من الحق، وليس معناه أنه ما أرسل إلَّا إليهم كما يقول بعض الضُلال.

وهو رسول إلى الجن، والإنس قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

وقال الله عزوجل في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢] الآيات إلى آخرها كل ذلك يدل أنه رسول إلى الجن، والإنس كآفة، وأن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة، قال: **«وبُعِثتُ إلى الناس كآفة»** كما في حديث جابر المتفق عليه،

نعم كان النبي يُبعثُ إلى قومه من الجن، والإنس أيضًا بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

ثم إن الجن مكلفون، ولا شك أن رسلهم من الإنس، فهذا مما يؤيد أن كل نبي مرسول إلى قومه من الجن والإنس، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

بُعِثَ إلى الثقلين ودينه ناسخ لجميع الأديان، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا

عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن الأدلة على أن هذا الدين ناسخ لجميع الأديان، قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

ومن اعتقد أن هذا الدين ليس ناسخًا للأديان الماضية، وأن الأديان الماضية يجوز التعبد لله عز وجل بها بعد بعثة رسول الله ﷺ، وأنه يسع الإنسان الخروج من ملة الإسلام إلى أي ملة من الملل، فهذا كفر أكبر مخرج من الملة؛ للأدلة التي سبق ذكرها.

وقوله: (وليس ينسخ) فمعناه أن هذا الدين لا يُنسخ أبدًا، فهو دين كامل شامل أبديٌّ إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها.

وقوله: (ما دام الصفا وحرا) ما دام الجبلان، فإن الجبال لا تزول إلا يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٧-١٥].

إذا قربت الساعة يرفع القرآن، قال النبي ﷺ: «**وليسرى على كتاب الله حتى لا يصبح منه شيء**»، فهذا معناه أن القرآن يرفع عند قيام الساعة أما قبل ذلك، فلا يرفع ما دام جبل حراء، والصفا ما دامت الجبال راسية، فإن القرآن لا يزال في القلوب، فإذا قامت الساعة زال قبل ذلك بقربٍ.

* * *

قال :

محمد خير كلِّ العالَمين به ختم النبيِّين والرُّسل الكرام جَرَا

محمد خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو القائل: «**إن لي أسماء: أنا أحمد، وأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا الماحي**»، وله أسماء أخرى غير ذلك، لكن لاتبلغ ما قاله الحليمي، وتبعه البيهقي أن أسماء النبي ﷺ كأسماء الله عز وجل في العدد، هذا غلط إنما ثبت للنبي ﷺ الرءوف، الرحيم، المقفي، نبي الملحمة، نبي الرحمة، وما إلى ذلك، فمحمد النبي ﷺ خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال النبي ﷺ : «**فبي خُتمت النبوة لا نبي بعدي**».

والطحاوي يقول: وكل دعوى النبوة بعده، فغي، وهوى وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى بالحق، والهدى، والنور، والضياء.

وعند هذا الكلام نجد ذكر جملة من الأدلة على ذلك من شرح ابن أبي العز على الطحاوية.

ومن ادعى النبوة بعد رسول الله ﷺ إلى الجن أو إلى الإنس أو إلى الرجال أو إلى النساء، وغير ذلك؛ فإن هذه الدعوى كفرٌ يكون كافرًا بالله سبحانه مكذبًا لكتابه، ولسنة نبيه ﷺ، فإن الغي والهوى هنا هو الغي الأكبر، والهوى الأكبر الذي ذكره الطحاوي رحمة الله عليه.

* * *

قال:

وليس من بعده يوحَى إلى أحد ومن أجاز فحَلَّ قتلُه هَدَرَا

كلام طيب؛ لأنه كافر الذي يقول: أن بعد النبي ﷺ بعث نبي يوحى إليه هذا يجب قتله، يجب على ولي الأمر هو يقول بالحل، والذي تقتضيه الأدلة وجوب قتله؛ لحديث: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، وأنه يجب قتله إلا إن تاب عن فعله، وقوله ذاك، وإلا قتل للحديث المذكور، ولأنه ردّ القرآن والسنة حل دمه هدرًا.

* * *

قال:

والآلِ والصَّحبِ ما ناحت على فنَن وَرْقَا ومَا غرَّدت قُمْريّة سَحَرَا

في خاتم آخر منظومته صلى على النبي ﷺ وعلى آله وعلى أصحابه تطبيقًا لحديث إنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»، فهذا هو الذي علمه أصحابه، وسائر الناس هذه السنة في الصلاة على

النبي ﷺ، ويصلى عليه، وعلى آله، وإذا ذكر الأصحاب في صلاته، فلا مانع من ذلك قد فعل ذلك السلف رضوان الله عليهم، وإن لم يذكر الأصحاب عند الصلاة، واقتصر على الوارد، فلا بأس بذلك الكل جائز.

وآل النبي ﷺ عمومًا وخصوصًا، أما من حيث العموم: فكل مؤمن من آله قال الله عز وجل: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال النبي ﷺ: **«إن بني فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله، وصالحوا المؤمنين»**.

والله عز وجل يقول: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾[التوبة: ٧١].

ومن حيث الخصوص آل النبي ﷺ هم أهل بيته الذين نص عليهم حديث زيد بن أرقم لما سألوه عن ذلك قال: **«هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس»**، هؤلاء آل النبي ﷺ سئل عن أزواجه، وأزواجه من أهل بيته، قال: نعم.

ومما يدل أن أزواجه أهل بيته قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولفضل الصحبة ترى أن الناس يصلون على النبي، وعلى آله تبعًا، وعلى الصحابة تبعًا لرسول الله ﷺ، فإذا أفرد أحدٌ آله بالصلاة، وأفرد أحد الصحابة بالصلاة قال: صلى الله على فلان، أو على بني فلان، فإن هذا له أصل لما جاء ذلك الرجل بزكاته إلى رسول الله ﷺ قال ﷺ: **«اللهم صلِّ على آل أبي أوفى»**، وقالت زوجة جابر: يا رسول الله، صلِّ عليَّ، وعلى زوجي، قال: **«صلى الله عليك، وعلى زوجك»**.

والله عز وجل يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، والمقصود بالصلاة هنا الدعاء لكن درج عمل السلف على أن الصلاة على النبي ﷺ، وإذا ذكر الآل، والأصحاب يكونون تبعًا للنبي ﷺ. وأن الترحم على من بعدهم من المسلمين قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

انتهينا من التعليق على هذه المنظومة ليلة السبت، لسبع وعشرين مضين من شهر رجب، لعام سبعة وعشرين وأربعمائة وألف، من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة
المقدمة ٥
مقدمة الناظم وتشتمل على الحمد والثناء، والصلاة على النبي ﷺ، وفضل علم دين الله عزوجل ٧
فصل في الإيمان بالقضاء والقدر ٩
فصلٌ في فتنة القبر وعذابه ١٠
فصل في البعث والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، ووزن الأعمال، والشفاعة والرؤية، والجنة والنار ١١
فصل في الإيمان بالحوض ١٣
باب ما تعتقده القلوب، وتنطق به الألسن من واجبات أمور الدين ٢٧
فصل وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ٤٧
فصل في البعث والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، ووزن الأعمال، والشفاعة والرؤية، والجنة والنار ٦٢
الحوض ٨٠
فصل في الإيمان ٨٥
فهرس الموضوعات ١١٢

تم الصف والإخراج بمكتب ألفا للصف والتحقيق والإخراج الفني
٥٨ ش صلاح الدين ناصف - الهرم - الجيزة - جمهورية مصر العربية
ت: ٠٠٢٠٢٣٨٨٨٥٩٣ - ٠٠٢٠١٠١٠٩٩٨٠٥

رسالتنا

الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في كل ما يتعلق بالعقيدة والمنهج والفقه، وفهمهما على النهج الذي كان عليه سلفنا الصالح -من الصحابة والتابعين- رضوان الله عليهم أجمعين.

إحياء نفائس تراث الأمة الإسلامية وطباعة ونشر وتيسير الكتب العلمية والمنهجية للعلماء وطلبة العلم المعروفين بصحة عقيدتهم وسلامة منهجهم.

تحذير المسلمين من الشرك بالله على اختلاف مظاهره وكشف شبهات أهل البدع والأهواء والجهل والزيغ والانحراف عن الطريق المستقيم، ومقاومة الأفكار المنحرفة والأساليب والنظم الدخيلة على الإسلام التي شوهت صورته السمحة، كأصحاب التخريب والمظاهرات والفتن والاضطرابات والانتحار والتفجيرات.

السمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف وإن جاروا وظلموا، والنهي عن الخروج وتحريض الناس عليهم سواء بالسيف أو باللسان، لقول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: ((تسمع وتطع للأمير وإن ضُرب ظهرُك وأُخذ مالُك، فاسمع وأطع)).

هذه رسالتنا، ونسأل الله التوفيق والسداد، وأن تكون تلك الأعمال في ميزان حسناتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، إنه هو البرّ الرحيم.

دار الكتاب والسنة
للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: عين شمس الشرقية - القاهرة - مصر هاتف الإدارة: ٠١٠٦٤٧١٤٣٩ - ٠١٠١٠٢١١٨٧ فاكس: ٠١٠١٠٢١٠٥٢

موقعنا على الانترنت: www.dar-ketabsunah.com

البريد الالكتروني:

ادارة التسويق: marketing@dar-ketabsunah.com
ادارة الانتاج: production@dar-ketabsunah.com
الادارة العامة: Admin@dar-ketabsunah.com

للتواصل عبر الماسنجر:
Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com
Dar_alktabwalsunnah@yahoo.com